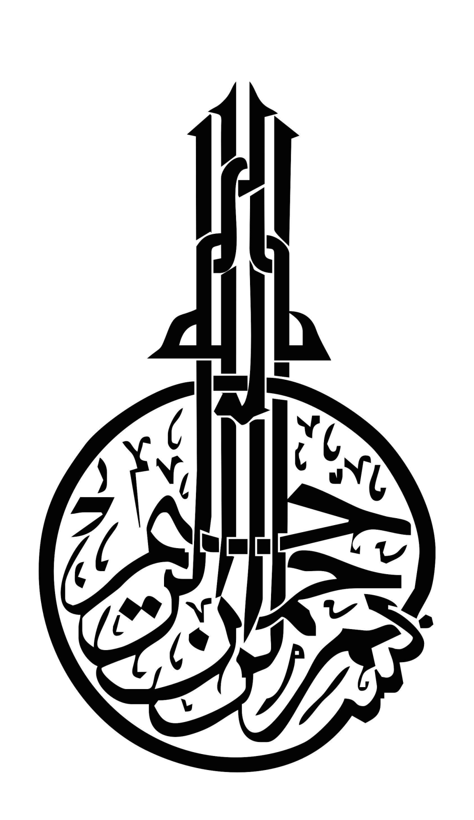

السيد جعفر مرتضى العاملي
ظلامة أبي طالب عليه السلام
«تاريخ ودراسة»
٢٢
المركز الإسلامي للدراسات

ظلامة ابي طالب عليه السلام

"تاريخ و دراسة"

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الاسلامي للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله.

أبا طالب يا صفوة الفضل والتقى   وغطريف مجد للذرى للذرى ارتقى

جهادك صان العلمُ والحلمُ والحجى   مزاياه مذ رواه بالنبل والتقى

به حفظ الله النبي محمداً   به نور دين الله في الكون أشرقا

فبوركت فذّاً أوحدياً لقد زكا   بمغناك غرس المكرمات وأورقا

خلقت كما قد شاء ربك آية   الكمال به آياته فيك حققا

ونورك في أصلاب خير سلالة   من الأنبياء الأكرمين تألقا

تحدر في الأصلاب وهي شوامخ   وأرحام طهر ملؤها الصفو والنقا

لأن علياً نوره نور أحمد   معاً قبل خلق الخلق في العرش علقا

ومن عجب أن يجمعا منذ آدم   ومن قبل لا والله لم يتفرقا

ومذ ظهرت من ذلك النور شعبة   النبوة فيها فاز من كان أسبقا

وأشرق في صافي محياك باهر   إلى العرش والكرسي في مده ارتقى

فبوركت عرشاً للولاء وكعبة   بأستارها قلب الموالي تعلقا

مكة المكرمة ١٤٢١/١٢/١٥هـ

تقديم وتوطئة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فإننا نشهد في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والمقروءة، هجمة شرسة على حقائق الدين، وشرائعه، وأحكامه، وعلى حماته، ورموزه، وأعلامه..

وقد ضاعف هؤلاء الجناة من هجماتهم التي تنضح بالحقد واللؤم، وبالتعصب المقيت، الذي لم يجدوا إلى إخفائه سبيلاً، لأنهم يرون كيف أن الإسلام الحق المتمثل بأطروحة أهل البيت عليهم السلام، ونهجهم القائم على التمسك بحبل ولايتهم، والاعتقاد بإمامتهم، يزيد تألقاً، وسطوعاً، وإشراقاً، خصوصاً بعد سقوط حكم الشاه في إيران، ثم ما سجَّله أبناء هذا النهج الأعزاء البررة، من انتصارات على أعداء الإنسانية، في كل اتجاه، الأمر الذي زاد من قوة انطلاقة الإسلام في مختلف أرجاء المعمورة، ليعمر القلوب بالهدى والنور، ويغمرها بالمحبة والسلام، ويأخذ بأزمَّتِها ليسلك بها سبل الحق ومناهجه، ويقودها إلى فردوس

الرضا الإلهي ومباهجه..

وقد تكفلت فئات وجهات كثيرة، بالسعى لإطفاء هذا النور، نور الإسلام الحق، بأفواههم: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. [١]

و ﴿المشركون﴾، والمتعصبون، والأذناب الحاقدون..

وكانت لهم أساليبهم الماكرة، وسبلهم اللاإنسانية المختلفة، فقد تفننوا فى اختراع وسائل الخداع، والتزوير للحق، والكيد لأهله، على طريقة دس السم فى الدسم، فيما يثيرونه من أجواء، وما يطرحونه من أفكار، من خلال وسائل إعلامهم المرئية والمسموعة، وما يبثونه عبرها من حوارات مصطنعة، وفى مسلسلاتهم، ومختلف برامجهم المشبوهة، حتى الترفيهية، فضلاً عما يزعمون أنها ثقافية منها..

وأصبح كل همهم التسويق للباطل، ولأهله بطريقة التجنى والافتراء، وتزوير الحقيقة ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

فعرضت تلك القنوات ولا تزال تعرض أفلاماً ومسلسلات كثيرة، فيها الكثير من الإفك والخيانة، لن يكون آخرها المسلسل الذي بثته إحدى الفضائيات عن الحجاج، ثم عن عمرو بن العاص، حيث سعوا إلى إقناع الناس بأن للحجاج قيمته ومكانته، وبأن عمرو بن العاص، من عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين، حتى ليخيل إليك أنه يصلح لأن يكون وصياً، إن لم يكن يصلح لأن يكون نبياًّ!!..

ثم هم في الجانب الآخر يصورون أبا طالب، شيخ الأبطح، عليه السلام، ومستودع الوصايا، والذي تقول النصوص إنه من أوصياء النبي عيسى عليه

---

[١] الآية ٨ من سورة الصف .

السلام، على أنه الرجل المصر على الشرك، والعناد، فلا يخضع للحق، ولا يستجيب لنداء الله، رغم أنه يعيش كل أجواء الإيمان، ويرى الدلائل والمعجزات لرسول الله صلى الله عليه وآله، الواحدة تلو الأخرى.

وهو يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من كل أحد سواه، لأنه كفله ورباه، وأيده، ورعاه، ودافع عنه ونافح، وجاهد في سبيل حفظه، وحفظ دعوته، وكافح..

وحين وجه إلينا بعض الإخوة سؤالاً عن هذه المفارقات، وحتّم علينا الواجب إجابته الصريحة والواضحة، وإن كانت لأهل الإفك جارحة، كان لا بد لنا في هذا البحث المقتضب، من أن نقدم إلى القارئ الكريم طائفة من النصوص التاريخية التي توضح له الحقيقة، وتزيل أية شبهة أو لبس، سواء فيما يرتبط بتاريخ وسيرة عمرو بن العاص، أم فيما يرتبط بتاريخ، وسيرة، وعظمة، وحقيقة إيمان أبي طالب عليه السلام المظلوم والمفترى عليه..

من أجل ذلك كان لا بد من تقديم فصل نعرض فيه بعض ما يدل على حقيقة عمرو بن العاص..

ثم نعرض فصولاً تتحدث عن أبي طالب عليه السلام، وعن جهاده، وتضحياته، وعن إيمانه، وفضائله..

فإلى ما يلي من فصول ومطالب:

الفصل الأول

هذا هو عمرو بن العاص

بداية:

إن إعطاء لمحة عن عمرو بن العاص، في تاريخه، وفي ممارساته.. وفي العديد من شؤونه يفرض علينا عرض طائفة من النصوص، مقتصرين من المصادر على أقل القليل، رغم أن بالإمكان حشد العشرات بل المئات منها..

وإنما آثرنا التخفيف من حجم المصادر، لأننا اعتقدنا: أن ذلك لم يعد ضرورياً، بعد أن أصبحت أجهزة الكومبيوتر قادرة على تقديم مقادير وافية وكافية منها، لكل من أحب ذلك..

فلا ضير إذن من إيكال أمر تكثيرها إلى القارئ، الراغب في ذلك، ما دام أن الباب قد أصبح مفتوحاً أمامه، ولم يعد الاشتغال بتكثيرها يمثل أولوية ملحة، بل ربما يكون الأولى هو الانصراف إلى ما هو أهم، ونفعه أعم..

ومهما يكن من أمر، فإننا قد اخترنا للقارئ الكريم طائفة من النصوص قادرة على إعطائه الصورة التي رسمها لنا التاريخ بملامحها الواقعية، التي يسعى أصحاب الأهواء إلى العبث بها، واستبدالها بصورة تغاير الحقيقة، ولا تعكس إلا خيالات وأوهاماً، ولا تجد لها منطبقاً على

صعيد الواقع. بل هي مرفوضة جملة وتفصيلاً، حتى على سبيل التقدير والافتراض..

والذي اخترناه منها هو ما يلي:

عمرو يحتمي بعورته:

١ ـ إن هناك حادثة اشتهرت فيما بين عمرو بن العاص والإمام علي عليه السلام أيما اشتهار، وهي حادثة مبارزته للإمام علي عليه السلام، حيث إنه لم يجد وسيلة تنجيه من سيفه في واقعة صفين، إلا كشف عورته، ليصرف الإمام علياً عليه السلام عنه، وينجو هو بنفسه، والقضية معروفة ومشهورة.. [١]

وقد قال الوليد بن عقبة يرد على معاوية، ويذكر كشف عمرو لسوأته:

يقول لنا معاوية بن حرب — أما فيكم لواتركم طلوب

يشد على أبي حسن علي — بأسمر لا تهجنه الكعوب

فيهتك مجمع اللبات منه — ونقع الحرب مطَّرد يؤوب

فقلت له: أتلعب يابن هند — كأنك بيننا رجل غريب

أتغرينا بحية بطن واد — إذا نهشت فليس لها طبيب

وما ضبع يدب ببطن واد — أتيح له به أسد مهيب

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٩٩ و ص ٣١٥/٣١٢ و الدرجات الرفيعة ص ١٢٠ و جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٩٣ . و هذا الخبر قد ذكره كل من صنف في السير كتابا .

بأضعف حيلة منا إذا ما لقيناه ولقياه عجيب

سوى عمرو وقته خصيتاه وكان لقلبه منه وجيب

كأن القومِ لما عاينوه خلال النقعِ ليس لهمِ قلوب

لعمرو أبي معاوية بن حرب وما ظني ستلحقه العيوب

لقد ناداه في الهيجا علي فأسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو، وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلق علياً، أو فليقف حيث يسمع صوته. وقال عمرو:

يذكرني الوليد دعا علي ونطق المرء يملؤه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش يطر من خوفه القلب الشديد

فأما في اللقاء فأين منه معاوية بن حرب والوليد

وعيرني الوليد لقاء ليث إذا ما شد هابته الأسود

لقيت ولست أجهله علياً وقد بُلَّت من العلق اللبود

فأطعنه ويطعنني خلاساً وماذا بعد طعنته أريد

فرمها منه يابن أبي معيط وأنت الفارس البطل النجيد

وأقسمِ لو سمعت ندا علي لطار القلب وانتفخِ الوريد

ولو لاقيته شقت جيوب عليك ولطمت فيك الخدود..[١]

---

[١] راجع شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣١٤-٣١٦ و صفين للمنقري ص ٤١٨، و شجرة طوبى ج ٢ ص ٣٣٤، و المناقب للخوارزمي ص ٢٣٧، والغدير ج ٢ ص ١٦٠.

وراجع محاورة عمرو بن العاص، ومعاوية حول هذه القضية أيضاً.. [1] فإنها محاورة طريفة، ويا ليتهم يعرضونها، ويعرضون سائر ما جرى بهذا الخصوص، في مسلسلاتهم أيضاً!!..

كشف العورات ينجي من الهلكات:

ومن المفارقات: أنه قد جرى لبسر بن أبى أرطأة مع الإمام على عليه السلام فى صفين، نفس ما جرى لعمرو، حيث حمى نفسه من سيف على، بكشف سوأته أيضاً.. [2]

قال ابن عبد البر: «وللشعراء فيهما أشعار كثيرة مذكورة فى موضعها من ذلك الكتاب.. [3] منها فيما ذكره ابن الكلبى، والمدائنى، قول الحارث بن نضر الخثعمي، وكان عدواً لعمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطأة:

أفي كل يـوم فارس لك ينتهي   وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه علي سنانه   ويضحك منها في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه   وعورة بسر مثلها حذو حاذية

فقولا لعمرو ثم بسر: ألا انظرا   لنفسكما لا تلقيا الليث ثانية

ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما   هما كانتا والله للنفس واقية

ولولاهما لم تنجوا من سنانه   وتلك بما فيها عن العود ناهية

---

[1] المصدر السابق ج ٦ ص ٣١٧ عن الواقدي ، و البحار ج ٣٣ ص ٢٣١ .

[2] المصدر السابق ج ٦ ص ٣١٦ عن الاستيعاب ، و البحار ج ٣٣ ص ٢٣٠

[3] يعني كتاب ابن الكلبي في اخبار صفين

متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة وفيها علي فاتركا الخيل ناحية

وكونا بعيداً حيث لا يبلغِ القنا نحوركما إن التجارب كافية.. [١]

الإمام علي عليه السلام يصف عمرواً:

ومن الواضح: أن الإمام علياً عليه السلام، كان أعرف بعمرو بن العاص من كل أحد، فضلاً عن هؤلاء المتحذلقين المغرضين، وهو أصدق منهم قولاً فيه، لأن له حاجزاً من دينه، يمنعه من قول غير الحق، أو التجني والحيف، حتى على أعدائه..

ونختار من النصوص التي روت لنا ما قاله فيه، ما يلي:

١ ـ قال علي عليه السلام في جماعة، منهم عمرو بن العاص:

«والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا، ولكن استسلموا، وأسرُّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منا».. [٢]

٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً له:

«واعجباً لابن النابغة: يزعم لأهل الشام: أن فيَّ دعابة، وأنى امرؤ تلعابة، أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً.

أما ـ وشر القول الكذب ـ إنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويُسأل فيبخل، ويسأل فَيُلْحِف، ويخون العهد، ويقطع الإلَّ.

فإذا كان عند الحرب، فأي آمر وزاجر هو؟! ما لم تأخذ السيوف

---

[١] راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣١٦ و ٣١٧ .

[٢] صفين لنصر بن مزاحم ص ٢١٥ ط المؤسسة العربية الحديثة .

مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته.. [1]

أما والله، إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة..

وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتيَّة، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة».. [2]

٣ ـ وحين قال عمرو للإمام على عليه السلام فى صفين: أتشبهنا بالكفار؟!

قال عليه السلام: «يابن النابغة، ومتى لم تكن للكافرين ولياً، وللمسلمين عدواً؟ وهل تشبه إلا أمك التي دفعت بك»؟!..

فقام عمرو، وقال: لا يجمع بيني وبينك بعد اليوم مجلس.

فقال الإمام على عليه السلام: إنى لأرجو الله أن يطهر مجلسى منك، ومن أشباهك.. [3]

سورة نزلت في عمرو بن العاص:

وروى يونس بن بكير، عن أبى عبد الله الجعفى، عن جابر، عن

---

[1] السبة الاست ، و في ذلك تعريض بكشف عمرو لعورته في صفين

[2] نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ١ ص ١٤٧ ط دار المعرفة ، بيروت لبنان

[3] تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٧ ،و تاريخ ابن خلدون ق ٢ ج ٢ ص ١٧٥ ، واmالي الطوسي ص ١٨٨ ، والبحار ج ٣٣ ص ٣١٧ ، و نهج السعادة للمحمودي ج ٢ ص ٢٧٥ و راجع : صفين للمنقري ص ٥٠٨ .

محمد بن علي، قال:

«كان القاسم ـ أي ابن النبي صلى الله عليه وآله ـ بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيبة، فلما قبضه الله، قال عمرو بن العاص: لقد أصبح أبتر.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ـ عوضاً يا محمد عن مصيبتك بالقاسم ـ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.. [١]

عمرو بن العاص في كلام الرسول ﷺ:

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال عنه وعن معاوية:

«إذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير».. [٢]

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه مر بعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وهما يشربان ويغنيان، في حمزة لما قتل، بهذا البيت:

كم من حواري تلوح عظامه درء الحروب بأن يجر فيقبرا

---

[١] راجع تفسير البرهان ج ٤ تفسير سورة الكوثر و رويت هذه القضية بنحو اخر ، فيه : ان عمروا قال : اني لاشنؤه فقال ابو العاص ، لاجرم لقد اصبح ابترا راجع : تفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٧٢ عن الزبير بن بكار ، وابن عساكر .

[٢] العقد الفريد ج ٤ ص ٣١٧ و صفين للمنقري ص ٢١٨ ، و نهج السعادة ج ٢ ص ٨٥ ، و جواهر المطالب في مناقب الامام علي لابن الدمشقي ج ٢ ص ٤٧ .

فقال صلى الله عليه وآله:

«اللهم العنهما، واركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعاً».. [١]

وروى الهيثمي في تطهير الجنان: أن عمرو بن العاص صعد المنبر، فوقع في علي عليه السلام، ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة ـ أي عند معاوية ـ والحسن عليه السلام حاضر.

فقيل للحسن عليه السلام: اصعد المنبر لترد عليهما. فامتنع، إلا أن يعطوه عهداً أن يصدقوه إذا قال حقاً، ويكذبوه إن قال باطلاً، فأعطوه ذلك.

فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة، أتعلمان أن النبي صلى الله عليه وآله لعن السائق والقائد، أحدهما فلان؟ ـ يعني معاوية ـ.

قالا: بلى.

ثم قال: يا معاوية، ويا مغيرة، ألم تعلما أن النبي صلى الله عليه وآله لعن عمرواً بكل قافية قالها لعنة؟

---

[١] كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الانصاري ص ٢٧٨ ـ والبحار ج ٢٠ ص ٧٦ و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٣٨ ، و تفسير القمي ج ٢ ص ٣٣٢ و فيه : عقبة بن ابي معيط ، و هو خطا ، لان عقبة قد قتل في حرب بدر ، قتله النبي صلى الله عليه و آله صبرا .

قالا: اللهم بلى الخ.. [1]

الإمام الحسن عليه السلام يصف عمرواً:

وقد اجتمع عمرو بن العاص مع المغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، فى مجلس معاوية، وطلبوا منه أن يحضر الحسن عليه السلام لسبه وسب أبيه، فأرسل إليه فحضر، وجرى بينهم وبينه كلام، فكان مما قاله الإمام الحسن لعمرو في هذا المجلس:

«.. وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً..

إلى أن قال:

وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته.

وآذيته بمكة..

وكدته كيدك كله..

وكنت من أشد الناس له تكذيباً..

وعداوة..

ثم خرجت تريد النجاشي، مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة..

---

[1] مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤٧ ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان . و ترجمة الامام الحسن لابن عساكر ص ١٩٣ ط مؤسسة المحمودي ، و النصائح الكافية ص ٢٧ ط دار الثقافة قم ، ايران .

فلما أخطأك ما رجوت، ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي، حسداً لما ارتكب من حليلتك، ففضحك الله، وفضح صاحبك..

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية وفي الإسلام..

ثم إنك تعلم، وكل هؤلاء الرهط يعلمون: أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اللهم إني لا أقول الشعر، ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة»..

فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعَّرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبد الله، إذا نكأت قرحة أدميتها.

ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود. وبالله ما نصرت عثمان حياً، ولا غضبت له مقتولاً..

ويحك يابن العاص، ألست القائل في بني هاشم، لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل　　وما السير مني بمستنكر

فقلت: ذريني، فإني امرؤ　　أريد النجاشي في جعفر

لأكويه عنده كية أقيم بها نخوة الأصعر

وشانئ أحمد من بينهم وأقولهم فيه بالمنكر

وأجري إلى عتبة جاهداً ولو كان كالذهب الأحمر

ولا أنثني عن بني هاشم وما اسطعت في الغيب والمحضر

فإن قبل العتب مني له وإلا لويت له مشفري.. [١]

ابن العاص أم ابن أبي سفيان:

ولا ندري لماذا لا يذكرون فى تلك المسلسلات قصة نسب عمرو إلى العاص بن وائل، مع أن المرجحات تشير إلى أنه ابن أبى سفيان، فإنه قد اختصم فيه أبو سفيان، والعاص بن وائل، فحكَّموا أمه فى ذلك، فقالت: إنه من العاص بن وائل.

فقال أبو سفيان: أما إنى لا أشك أنى وضعته فى رحم أمه، فأبت إلا العاص..

فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً!!.

فقالت: إن العاص بن وائل كثير النفقة علي، وأبو سفيان شحيح.

ففي ذلك يقول حسان بن ثابت:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ حتى ص ٢٩٢ عن الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات ، والغدير عن جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢ و تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤ .

ففاخر به إما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

وإن التي في ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما تجمعت الأقوام عند المحافل.. [١]

ماذا عن أم عمرو بن العاص!:

فأما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب: «ربيع الأبرار».. قال:

كانت النابغة أم عمرو بن العاص أَمَةً لرجل من عَنَزَة، فسُبيت، فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة، فكانت بَغِيّاً، ثم أعتقها، فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأمية بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي، في طهر واحد، فولدت عمراً، فادعاه كلهم، فحُكِّمت أمه فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيراً.

قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان.

وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل.. [٢]

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ عن كتاب الانساب لابي عبيدة عمرو بن المثنى ، و الغارات ج ٢ ص ٥١٤ ط سلسلة انتشارات انجمن اثار ملي ، والبحار ج ٣٣ ص ٢٣٠ .

[٢] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٣ ، و مناقب اهل البيت للشيرواني ص ٤٦٦ ط المنشورات الاسلامية .

من مخزيات عمرو:

وقال المعتزلي:

«وكان عمرو أحد من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة..

ويشتمه..

ويضع فى طريقه الحجارة، لأنه كان صلى الله عليه وآله يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة، وكان عمرو يجعل له الحجارة فى مسلكه ليعثر بها.

وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة [1] رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فروَّعوها، وقرعوا هودجها بكعوب الرماح، حتى أجهضت جنيناً ميتاً من أبى العاص بن الربيع بعلها.

فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، نال منه، وشق عليه مشقة شديدة، ولعنهم. روى ذلك الواقدي.

وروى الواقدي أيضاً وغيره، من أهل الحديث:

أن عمرو بن العاص هجا رسول الله صلى الله عليه وآله هجاء كثيراً، كان يعلمه صبيان مكة، فينشدونه، ويصيحون برسول الله إذا مر بهم،

---

[1] قد حققنا في كتابنا : بنات النبي ام ربائبه و كتاب القول الصائب في اثبات الربائب ان زينب و رقية و ام كلثوم هن بنات لرسول الله بالتربية ، لابالولادة ، فليلتفت الى ذلك .

رافعين أصواتهم بذلك الهجاء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي بالحجر:

«اللهم إن عمرو بن العاص هجاني، ولست بشاعر: فالعنه بعدد ما هجاني»..

وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، عمدوا إلى سلى جمل، فرفعوه بينهم، ووضعوه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ساجد بفناء الكعبة، فسال عليه.

فصبر، ولم يرفع رأسه، وبكى في سجوده، ودعا عليهم.

فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام، وهي باكية، فاحتضنت ذلك السلا، فرفعته عنه فألقته. وقامت على رأسه تبكي، فرفع رأسه صلى الله عليه وآله، وقال: «اللهم عليك بقريش».. قالها ثلاثاً..

ثم قال رافعاً صوته: «إني مظلوم فانتصِر».. قالها ثلاثاً.

ثم قام فدخل منزله؛ وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين.

ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله، أرسله أهل مكة إلى النجاشى ليزهِّده فى الدين، وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة، وليقتل جعفر بن أبى طالب عنده، إن أمكنه قتله، فكان منه في أمر جعفر ما هو مذكور مشهور في السير، وسنذكر بعضه.. [1]

---

[1] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٣ ، والبحار ج ٣٣ ص ٢٢٩ .

معاوية وعمرو عند عمر بن الخطاب:

هذا، وقد ذكر ابن عبد ربه: «أن عمرواً قدم من مصر، ومعاوية من الشام على عمر بن الخطاب، فأقعدهما بين يديه، وجعل يسائلهما عن أعمالهما، إلى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية، فقال له معاوية: أعملي تعيب؟! هلم أخبر الخليفة عن عملي، وأخبره عن عملك!

قال عمرو: فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله، وأن عمر لا يدع هذا الحديث، حتى يصير إلى آخره، فأردت أن أفعل شيئاً أشغل به عمر عن ذلك، فرفعت يدي فلطمت معاوية.

فقال عمر: تالله ما رأيت أسفه منك، قم يا معاوية، فاقتص منه.

فقال معاوية: إن أبي أمرني أن لا أقضي أمراً دونه..

فأرسل عمر إلى أبيه، فأتى.

فلما قص عليه ما جرى قال: لهذا بعثت إلى؟! أخوه، وابن عمه، وقد أتى غير كبير، وقد وهبت ذلك له..» [1]

عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة:

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى، أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص، فقد ذكره ابن إسحق في كتاب المغازي قال:

كان عمارة بن الوليد بن المغيرة، وعمرو بن العاص بن وائل، بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، خرجا إلى أرض الحبشة على

---

[1] العقد الفريد ج ١ ص ٣٠.

شركهما، وكلاهما كان شاعراً، عارماً، فاتكاً.

وكان عمارة بن الوليد جميلاً وسيماً، تهواه النساء، صاحب محادثة لهن. فركبا البحر، ومع عمرو بن العاص امرأته، حتى إذا صاروا فى البحر ليالى، أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قبليني.

فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك، فقبلته.

فهويها عمارة، وجعل يراودها عن نفسها، فامتنعت منه.

ثم إن عمرواً جلس على منجاف [١] السفينة يبول، فدفعه عمارة فى البحر، فلما وقع عمرو سبح، حتى أخذ بمنجاف السفينة، فقال له عمارة: أما والله لو علمت أنك سابح ما طرحتك، ولكننى كنت أظن أنك لا تحسن السباحة، فضغن عمرو عليه فى نفسه، وعلم أنه كان أراد قتله، ومضيا حتى قدما أرض الحبشة.

فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل:

أن اخلعنى، وتبرَّأ من جريرتى إلى بنى المغيرة، وسائر بنى مخزوم، وخشي على أبيه أن يُتبع بجريرته.

فلما قدم الكتاب على العاص، مشى إلى رجال بنى المغيرة وبنى مخزوم، فقال:

إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب

---

[١] المنجاف : سكان السفينة .

شر، غير مأمونين على أنفسهما، ولا أدري ما يكون منهما، وإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته، فقد خلعته.

فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم: وأنت تخاف عمرواً على عمارة! ونحن فقد خلعنا عمارة، وتبرأنا إليك من جريرته، فخلِّ بين الرجلين.

قال: فلما اطمأنا بأرض الحبشة، لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي، وكان جميلاً صبيحاً وسيماً، فأدخلته، فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرواً بما كان من أمره، فيقول عمرو:

لا أصدقك أنك قدرت على هذا، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ـ وكان عمرو قد علم صدقه، ورأى من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به، إذا كان معها، وبيتوتته عندها، حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك، وكانا في منزل واحد، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطاع دفعه، إن هو رفع شأنه إلى النجاشي ـ.

فقال له في بعض ما يتذاكران من أمرها: إن كنت صادقاً، فقل لها:

فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه، وائتني بشيء منه حتى أصدقك..

قال: أفعل.

فسألها ذلك، فدهنته منه، وأعطته شيئاً فى قارورة، فلما شمه عمرو عرفه، فقال:

أشهد أنك قد صدقت! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط.

ثم سكت عنه حتى اطمأن، ودخل على النجاشي، فقال:

أيها الملك، إن معى سفيهاً من سفهاء قريش، وقد خشيت أن يعرَّنى [١] عندك أمره، وأردت أن أعلمك بشأنه، وألا أرفع ذلك إليك حتى أستثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر. وهذا دهنك قد أعطته وادهن به.

ثم تذكر الرواية معاقبة النجاشى لعمارة، وأن عمرو بن العاص، قد قال: يذكر ما كان صنع به، وما أراد من امرأته:

تعلم عمار أن من شر سنة	على المرء أن يدعى ابن عم له ابنما
أإن كنتَ ذا بردين أحوى مرجلاً	فلست براع لابن عمك محرماً
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه	ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت	إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما.. [٢]

جعفر بن أبي طالب ينجو من سم عمرو:

وروي عن عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال:

لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفراً بأرض الحبشة عند النجاشى،

---

[١] عره : لطخه بالعيب و في أ : (يغيرني) ، وما أثبته عن الاغاني .

[٢] راجع : الخبر و الشعر في الاغاني ج ٩ ص ٥٩/٥٧ (طبعة الدار) ، وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣٠٤ – ٣٠٧ .

وعند كثير من رعيته، بأنواع الكيد، وردها الله تعالى عنه بلطفه.

رماه بالقتل.

والسرق.

والزنى.

فلم يلصق به شيء من تلك العيوب، لما شاهده القوم من طهارته، وعبادته، ونسكه، وسيماء النبوة عليه.

فلما نبا معوله عن صفاته هيأ له سماً قذفه إليه فى طعام، فأرسل الله هراً، كفأ تلك الصحفة، وقد مد يده نحوها، ثم مات لوقته، وقد أكل منها..

فتبين لجعفر كيده، وغائلته، فلم يأكل بعدها عنده..

وما زال ابن الجزار عدواً لنا أهل البيت.. [١]

وقال المعتزلي ما ملخصه:

أما خبر عمرو بن العاص فى شخوصه إلى الحبشة، ليكيد جعفر بن أبى طالب والمهاجرين من المؤمنين عند النجاشى، فقد رواه كل من صنف في السيرة.

قال محمد بن إسحق في كتاب المغازي:

حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، عن أبى بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة، زوجة رسول الله صلى الله عليه

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣١٢.

وآله، قالت:

لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشى، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فى أمرنا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منه الأدم. فجمعوا أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية.

ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما:

ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلما النجاشي فيهم.

ثم قدما إلى النجاشى، ونحن عنده فى خير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته، قبل أن يكلما النجاشى، ثم قالا للبطارقة:

إنه قد فر إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قربا هدايا الملك إليه فقبلها منهم، ثم كلماه، فقالا له:

أيها الملك قد فر إلى بلادك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، جاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا فيهم إليك أشراف قومنا، من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاينوه منهم.

قالت أم سلمة: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص، من أن يسمع النجاشي كلامهم.

فقالت بطارقة الملك وخواصه: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فليسلمهم الملك إليهما، ليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب الملك وقال: لا ها الله إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا أخفر قوماً جاورونى، ونزلوا بلادي، واختارونى على سواي، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمناه، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله كائناً ما هو كائن.

فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله،

سألهم فقال لهم:

ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟!..

قالت أم سلمة: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له:

أيها الملك، إنا كنا قوماً فى جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل علينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن التجاور، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن سائر الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وبالصلاة وبالزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام كلها، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأصنام والأوثان عن عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث.

فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا

إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شيء؟

فقال جعفر: نعم.

فقال: اقرأه علي.

فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾..

فبكى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا لحاهم.

ثم قال النجاشي: والله، إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، والله لا أسلمكم إليهم.

قالت أم سلمة: فلما خرج القوم من عنده، قال عمرو بن العاص:

والله، لأعيبهم غداً عنده بما يستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين:

لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفوا.

قال: والله لأخبرنه غداً أنهم يقولون في عيسى بن مريم: إنه عبد.

ثم غدا عليه من الغد، فقال: أيها الملك، إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم.

قالت أم سلمة: فما نزل بنا مثلها.

واجتمع المسلمون، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟

فقال جعفر بن أبي طالب:

نقول فيه والله ما قال عز وجل، وما جاء به نبينا عليه السلام، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

فقال جعفر: نقول إنه عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي يديه على الأرض، وأخذ منها عوداً، وقال:

ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود.

قالت: فقد كانت بطارقته تناخرت حوله، حين قال جعفر ما قال، فقال لهم النجاشي: وإن تناخرتم!

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم (سيوم) بأرضي، أي آمنون، من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً ذهباً وأني آذيت رجلاً منكم ـ والدبر بلسان الحبشة: الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة، حتى ردني إلى ملكي. فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ أفأطيعهم فيه؟

قالت: فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده في خير دار، مع خير جار..[1]

---

[1] راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣١١/٣٠٧ ، و راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ صر٢١ و الكامل في تاريخ لابن الاثير ج ٢ ص ٨٠ و اعلام الوري ص ٤٤ ، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ ، و السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٠ ، و الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٥ ، و حلية الاولياء ج ١ ص ١١٦/١١٤ عن ابن

وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام:

«أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشة مرتين، ليكيد المسلمين، فرد الله كيده إلى نحره، وباء بغضبٍ من الله تعالى» [1].

اسحاق و البداية و النهاية ج ٣ ص ٧٠ و ٧٤ و ٦٩ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٤ ، و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧ و ٢٤ عن الطبراني و احمد ، و رجاله رجال الصحيح ، و حياة الصحابة ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٧ ، عن بعض من تقدم و عن فتح الباري ج ٧ ص ٣٠ و حسن اسناده .

[1] راجع : الاحتجاج ط النجف ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٧ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٧٦ .

الفصل الثاني

لمحات عن أبي طالب عليه السلام

اسمه:

قيل إن اسم أبى طالب عليه السلام: عمران، وقيل: عبد مناف، وقيل اسمه: لقبه.

ويؤيد الثاني ما روي من أن عبد المطلب قال:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحد بعد أبيه فرد

وقال:

وصّيت من كنيته بطالب عبد مناف، وهو ذو تجارب.. [١]

وقد سمى عبد مناف، لأنه أناف على الناس وعلا [٢].

ويؤيد الأول ما قالوه، من أنه قد ورد فى زيارة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، والمروية في بعض كتب أصحابنا:

«السلام على عمك عمران أبي طالب» [٣].

---

[١] البحار ج ١٨ ص ٢٣٨ و راجع ج ٣٥ ص ٨٣ و راجع المناقب لابن شهر أشوب ج ١ ص ٣٦ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٨ و حول ان اسمه عبد مناف راجع كتاب : نبوة أبي طالب ص ١٢/٧ تاليف مزمل حسين الميثمي الغديري ، ط ، قم ايران .

[٢] راجع : اثبات الوصية ص ٤٠ .

[٣] البحار ج ١٠٠ ص ١٨٩ و مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٥٥٥ .

ويؤيد أن اسمه كنيته، ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه كتب في بعض الرسائل: علي بن أبو طالب [1].

إلا أن يقال: إن كتابة الياء في الخط الكوفي تشبه كتابة الواو..

و«قال الحاكم: أكثر المتقدمين على أن اسمه (يعني أبا طالب) كنيته [2]

وهناك كلام مطول حول هذا الموضوع، ذكرنا طرفاً منه في موضع آخر.. فراجع. [3]

صفة أبي طالب عليه السلام ومكانته:

كان أبو طالب عليه السلام شيخاً جسيماً، وسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء..

وقيل لأكثم بن صيفي: ممن تعلمت الحكمة، والرياسة، والحلم، والسيادة؟

---

[1] البحار ج ٣٥ ص ١٣٨ و ج ٣٣ ص ٥٢٤ و مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ٢٣٥، وعمدة الطالب ص ٢٠ و مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٠٦ فانه جعل الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لايتغير اعرابها.

[2] الاصابة ج ٤ ص ١١٥.

[3] راجع: الصحيح من سيرة النبي الاعظم ص ج ٤ ص ١٩٤-١٩٧.

فقال: من حليف العلم، والأدب، سيد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد المطلب [١].

وكان أبو طالب عليه السلام ممن يهابه الرجال، ويكره غضبه [٢].

وقال النويري: «كان أبو طالب حاكم قريش، وسيدها، ومرجعها في الملمات» [٣].

وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية [٤].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في فضل أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أقول في رجل أبوه أبو طالب، سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة؟

وقالوا: قلَّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب، وهو فقير لا مال له..

وكانت قريش تسميه (الشيخ).

إلى أن قال: «.. وهو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عناء

---

[١] البحار ج ٣٥ ص ١٣٤ و راجع الاحتجاج ج ١ ص ٣٤٢ و روضة الواعظين ص ١٠١ و الكنى و الالقاب ج ١ ص ١٠٩ .

[٢] سفينة البحار ج ٥ ص ٣١٩ و البحار ج ١٦ ص ١٤ و غوالي اللالي ج ٣ ص ٢٩٩ و المهذب البارع لابن فهد الحلي ج ٣ ص ١٧٧ و الكافي ج ٥ ص ٣٧٥ ط دار الكتب الاسلامية .

[٣] نهاية الارب ج ١ ص ٣٢٤ ط ٢ .

[٤] الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج ٥ ص ٢٩٧ عن السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٣ .

عظيماً، وقاسى بلاء شديداً، وصبر على نصره، والقيام بأمره. وجاء في الخبر: أنه لما توفي أبو طالب: أوحي إليه، وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك» [١].

أبو طالب في كلمات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام :

ثم إنه قد روي عن علي عليه السلام: أن نور أبي يوم القيامة يطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار. نور محمد صلى الله عليه وآله ونوري، ونور الحسن والحسين، ونور تسعة من ولد الحسين [٢].

وروي أيضاً: أن مثله كان مثل أصحاب الكهف.

وأنه كان مستودعاً للوصايا، فدفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله [٣].

وقال الصدوق: روي أن عبد المطلب كان حجة، وأن أبا طالب كان وصيه [٤].

وقال المجلسي: بل كان من أوصياء إبراهيم [٥].

---

[١] البحار ج ٤١ ص ١٥١ و راجع ايمان ابي طالب ص ٢٤ و راجع البحار ج ٢٢ ص ٢٦١ و شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٩ و ج ٤ ص ١٢٨ وينابيع المودة ج ١ ص ٤٥٥ .

[٢] البحار ج ٣٥ ص ٦٩ و ١١٠ عن الاحتجاج و عن الكراجكي .

[٣] البحار ج ٣٥ ص ٧٢ و ٧٣ وراجع الكافي ج ١ ص ٤٤٥ .

[٤] الاعتقادات في دين الامامية للصدوق ص ٨٥ طبع المطبعة العلمية ، قم سنة ١٤١٢ هـ.

[٥] البحار ج ٣٥ ص ١٣٨ .

وفى روضة الواعظين: أن جابراً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يقولون إن أبا طالب مات كافراً؟!

قال صلى الله عليه وآله: يا جابر، الله أعلم بالغيب! إنه لما كانت الليلة التى أسري بى إلى السماء انتهيت إلى العرش، فرأيت أربعة أنوار، فقلت: إلهي، ما هذه الأنوار؟!

فقال: يا محمد، هذا عبد المطلب، وهذا أبو طالب، وهذا أبوك عبدالله، وهذا أخوك طالب.

فقلت: إلهي وسيدي، فيم نالوا هذه الدرجة؟!

قال: بكتمانهم الإيمان، وإظهارهم الكفر، وصبرهم على ذلك حتى ماتوا [١].

أبو طالب عليه السلام كفيل النبي صلى الله عليه وآله :

وقد روي: أنه لما ولد النبى صلى الله عليه وآله مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب عليه السلام على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع أياماً، حتى جاءت حليمة السعدية فدفعه إليها [٢].

وقالوا: إنه في كفالته لرسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وينيمه في فراشه، وكان إذا أراد أن يعشي أولاده

---

[١] البحار ج ٣٥ ص ١٥ و روضة الواعظين ص ١٠١.

[٢] البحار ج ١٥ ص ٣٤٠ و ج ٣٥ ص ١٣٦ و الكافي ج ١ ص ٤٤٨ و راجع : مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣١ و حلية الابرار ج ١ ص ٢٩.

ويغذيهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيأكل معهم فيبقى الطعام [١].

ولما حضرت عبد المطلب الوفاة، دفع النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي طالب عليه السلام، وطلب منه أن يحفظه فيه، فقال له أبو طالب:

يا أبه، لا توصني بمحمد، فإنه ابني، وابن أخي..

فلما توفي عبد المطلب كان أبو طالب يؤثره بالنفقة، والكسوة على نفسه، وعلى جميع أهله [٢].

إني مقتول:

وكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إذا أخذ مضجعه، ونامت العيون، جاءه أبو طالب عليه السلام، فأنهضه صلى الله عليه وآله عن مضجعه، وأضجع الإمام علياً عليه السلام مكانه، ووكل عليه ولده، وولد أخيه.

فقال الإمام علي عليه السلام: يا أبتاه، إني مقتول ذات ليلة.

فقال أبو طالب عليه السلام:

إصبرن يا بني، فالصبر أحجى   كل حي مصيره لشعوب

قد بلوناك والبلاء شديد   لفداء النجيب، وابن النجيب

إن تصبك المنون بالنبل تترى   فمصيب منها وغير مصيب

---

[١] البحار ج ١٥ ص ٣٣٥ و ٤٠٧ و مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣٥.

[٢] راجع : البحار ج ١٨ ص ٢٣٨ و الاحتجاج ج ١ ص ٣٤٣ و مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣٥ ط المطبعة الحيدرية .

كل حي وإن تطاول عمراً آخذ من سهامها بنصيب

فقال الإمام علي عليه السلام:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً

ولكنني أحببت أن تر نصرتي وتعلم أني لم أزل لك طائعاً

وسعيي لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً [١]

وقال الإمام علي عليه السلام أيضاً بعد ذلك:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله الخلق إذ مكروا به فنجاه ذو الطول الكريم من المكر

وبت أراعيهم وهم يثبتونني وقد صبرت نفسي على القتل والأسر

وبات رسول الله في الشعب آمناً وذلك في حفظ الإله وفي ستر

أردت به نصر الإله تبتلاً وأضمرته حتى أوسد في قبري [٢]

وحين أَخبَرَ الإمام علي عليه السلام أباه بأنه قد أسلم على يد

---

[١] البحار ج ٣٥ ص ٩٣ و راجع : المناقب لابن شهر أشوب ج ١ ص ٦٥/٦٤ و اسنى المطالب ص ٢١ و لم يصرح باسم (علي) و كذا في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٢ و راجع البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٤ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ و دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣١٢ و تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤١/١٤٠ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ج ٨ ص ٣ و ٤ و ابوطالب مؤمن قريش ص ١٩٤ .

[٢] البحار ج ٣٦ ص ٤٦ ، و راجع ج ٣٨ ص ٢٩٢ و مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٢٣٥ و نهج الايمان لابن جبر ص ٣٠٩ و شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٣٧ .

الرسول صلى الله عليه وآله، قال أبو طالب عليه السلام:

أما إنه لا يدعو إلا إلى خير، فالزمه [١].

وقال لولده الإمام علي عليه السلام حينما أخبره أنه يريد أن يتبع الرسول صلى الله عليه وآله:

يا ولدي، تعلم أن محمداً والله أمين منذ كان، امض واتبعه ترشد وتفلح، وتشهد [٢].

ويقول عليه السلام: إنه لما رآه أبو طالب عليه السلام هو والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ساجدين.

قال: افعلتماها؟

ثم أخذ بيدي، فقال: انظر كيف تنصره، وجعل يرغبني في ذلك، ويحضني عليه [٣].

ثم إنه هو الذي أمر جعفراً وحمزة بالإسلام، وأمر زوجته فاطمة بنت أسد بأن تسلم أيضاً [٤].

---

[١] البحار ج ٣٨ ص ٢٠٧ و ٣٢٣ و مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣١ ط المطبعة الحيدرية و شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٠٠ و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨ ط مؤسسة الاعلمي.

[٢] البحار ج ٣٨ ص ٢٠٧ و مناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣٠١ ط المطبعة الحيدرية.

[٣] البحار ج ٣٨ ص ٢٠٦ ومناقب ال ابي طالب ج ١ ص ٣٠٠ ط المطبعة الحيدرية و شرح الاخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ١٧٩.

[٤] ستأتي مصادر ذلك حين الحديث عن ايمانه صلوات الله و سلامه عليه.

وصية أبي طالب عليه السلام لقريش:

قال في بلوغ الإرب:

عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، فقال:

«يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، والواسع الباع..

واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم إلب..

وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ يعنى الكعبة ـ فإن فيها مرضاة للرب، قوةً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم، فإن فى صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد..

اتركوا البغي والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم.

أجيبوا الداعى، واعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة فى الخاص، ومكرمة في العام..

وإنى أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين فى قريش، والصديق فى العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته وصدقوا

كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، إذ أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له بلادها، وأعطته قيادها..

يا معشر قريش، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي»..

هذا ما جاء في بلوغ الإرب، وزاد في روضة الواعظين قوله:

«غير أني أشهد بشهادته، وأعظم مقالته» [1]

[1] راجع : شيخ الأبطح ص ٤ و ٤٩ عن بلوغ الارب ج ١ ص ٣٢٧ ة ٣٢٨ ط ٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٩ و عن السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٢ و عن احمد زيني دحلان.

الفصل الثالث

من تاريخ أبي طالب عليه السلام

بداية:

إننا قبل أن ندخل في الحديث عن دلائل إيمان شيخ الأبطح، نقدم إضمامة فواحة بعبير الإيمان من مواقف أبي طالب الهادفة إلى إعزاز دين الله، ونصرة وحفظ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، معتمدين في ذلك ـ بصورة عامة ـ على ما ذكرناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، مع بعض التقليم والتطعيم، فنقول:

المفاوضات الفاشلة:

قال ابن إسحاق وغيره: لما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله قومه بالإسلام، وصدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون. وحدب على رسول الله صلى الله عليه وآله عمه أبو طالب عليه السلام، ومنعه، وقام دونه. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر الله مظهراً لا يرده شيء.

فلما رأت قريش: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، من فراقهم، وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب

عليه السلام قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، حاولوا مفاوضة أبي طالب عليه السلام في شأنه.

وقد مرت هذه المفاوضات على الظاهر، بثلاث مراحل، انتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: أنه مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب عليه السلام.

فقالوا له: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه..

فقال لهم أبو طالب عليه السلام قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: أنهم حين رأوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله مازال يظهر دينه، ويدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه وبينهم، وحتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بينها، ذهبوا إلى أبي طالب عليه السلام، فتهددوه:

إن لم يكف ابن أخيه عن شتم آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، فسوف ينازلونه وإياه، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، وطلب إليه أن يبقي على نفسه وعليه، ولا يحمله ما لا يطيق.

فظن أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه قد ضعف عن نصرته، والقيام دونه، فقال له صلى الله عليه وآله:

يا عم، والله، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته.

فوعده أبو طالب عليه السلام النصر.

الثالثة: عرضوا على أبى طالب عليه السلام: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولداً له، ويسلمهم النبى محمداً صلى الله عليه وآله، الذي فارق دين أبى طالب ودين آبائه، وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم، ليقتلوه. فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب عليه السلام: والله، لبئس ما تسوموننى، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداًا!!.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب عليه السلام: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي؛ فاصنع ما بدا لك، أو كما قال.

فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً [١]

وهذا التدرج والتتابع الذي رسمناه، لسير الأحداث، إنما هو وفق الحدس والظن لما ربما يختلف، ويتداخل.

ولكن الأمر في ذلك سهل، غير أننا قبل أن نواصل حديثنا نسجل النقاط التالية:

[١] راجع : السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٨٦/٢٨٢ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٩/١٤٧ و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨/٦٥.

قريش لم تصل إلى نتيجة:

لقد رأينا: أن مشركي مكة ما كانوا يرغبون بادئ ذي بدء: في توريط أنفسهم في مواجهة حادّةٍ مع أبي طالب عليه السلام والهاشميين..

فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب عليه السلام نفسه على حسم الموقف، والقضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، ومصدر مخاوفهم، وحاولوا أن يثيروه ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح عمه نفسه، ويجرح كرامته، وعاطفته عمه نفسه، فضلاً عن غيره، فمن الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه عليه السلام لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، ويكفيهم مؤونة ذلك.

ولكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب عليه السلام لم يستجب لأي من أباطيلهم، لجأوا إلى التهديد والوعيد، ثم إلى أسلوب المكر والخداع حين عرضوا عمارة على أبي طالب عليه السلام ليتخذه ولداً، ويسلمهم النبي محمداً صلى الله عليه وآله ليقتلوه.

الأمر الذي كشف عن حقيقة ما يكنونه في صدورهم، واتضح لأبي طالب عليه السلام ولغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، وإطفاء نور الله بالقضاء على الداعي إليه، فزاد ذلك من تصلب أبي طالب عليه السلام وفي تصميمه في الدفاع عن الحق والدين، وعن نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

وبعد فشل المفاوضات، ظهر لأبي طالب: أن السيل قد بلغ الزبى،

وأنه على وشك الدخول في صراع مكشوف مع المشركين.

فلا بد من الحذر والاحتياط للأمر؛ فجمع بني هاشم، وبني المطلب، ودعاهم إلى منع الرسول، والقيام دونه، فأجابوه، وقاموا معه، باستثناء أبي لهب لعنه الله تعالى.

ومنع الله عزوجل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه في شعره وبشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، والقرآن ينزل عليه صلى الله عليه وآله بتكذيبهم.

ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عزوجل سراً وجهراً.

وقد أدرك المشركون: أن الاعتداء على شخصه صلى الله عليه وآله سوف يتسبب في صراع مسلح لم يعدوا له عدته، وليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصاً مع ما كان لبني هاشم من علاقات، ومن أحلاف مع القبائل، كحلف المطيبين، وحلف عبد المطلب مع خزاعة التي كانت تقطن خارج مكة.

بل قد توجب هذه الحرب ـ لو نشبت ـ التمكين لمحمد صلى الله عليه وآله من نشر دعوته [١].

---

[١] و يرى بعض المحققين : أن من المحتمل : أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تارة و الشدة اخرى : بهدف اثارة حرب كهذه ، تهدف الى تمكين النبي من نشر دعوته ، كما اشير اليه .

فآثر المشركون أن يبتعدوا عن الحرب، وانتهاج أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد صلى الله عليه وآله، والوقوف في وجه دعوته؛ فصاروا:

ألف: ينهون الناس عن الالتقاء به صلى الله عليه وآله، وعن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [2]

ب: يتبعون أسلوب السخرية والاستهزاء، وإلصاق التهم الباطلة به، بهدف:

١ ـ التأثير على شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله علّه ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقارة والضعة، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، ويكذب نفسه.

٢ ـ الحط من كرامة النبي صلى الله عليه وآله، وابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرفهم عن الدخول فيما جاء به.

فصاروا يغرون سفهاءهم بإيذائه وتكذيبه، وأحياناً كان يتولى ذلك منه سادتهم وكبراؤهم.

---

[1] الاية ٢٦ م سورة الانعام .

[2] الاية ٢٦ من سورة فصلت .

وقد أمروا غلاماً منهم بأن يلقي عليه سلى جزور وفرثه، وهو قائم يصلي، فألقاه بين كتفيه، فغضب أبو طالب، وأتى إليهم بذلك السلى نفسه، فأمرَّه على سبالهم جميعاً.

وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم [1] وأوجب ذلهم وخزيهم، من حيث إنه قد جاء من موقع التحدي، القوي والصريح.

وكانوا أيضاً يلقون عليه التراب [2] ورحم الشاة [3] وغير ذلك.

وقد أثر ذلك إلى حد ما في صرف الناس، وإبعادهم عن الدخول في الإسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير وغيره:

«.. وكرهوا ما قال لهم، وأغروا به من أطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس» [4].

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٤٤٩ نشر مكتبة الصدوق و منية الراغب : ص ٧٥ و راجع الغدير : ج ٧ ص ٣٥٩ و ٣٨٨ و ج ٨ ص ٤ . و ابوطالب مؤمن قريش : ص ٧٣ عن مصادر كثيرة .

[2] راجع : السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٢ و ٢٣١ .

[3] راجع : البداية و النهاية : ج ٣ ص ١٣٤ و تاريخ الامم و الملوك للطبري ج ٢ ص ٧٩ ط مؤسسة الاعلمي و السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٢ ص ٤٣٦ .

[4] تاريخ الامم و الملوك للطبري : ج ٢ ص ٦٨ و دلائل النبوة لاسماعيل الاصبهاني ص ١٠٣ .

قرار المقاطعة:

و «لما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وآله بمن معه، وعزة أصحابه في الحبشة، وفشو الإسلام في القبائل» [١].

وأن جميع جهودها في محاربة الإسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، وهي الحصار الاقتصادي والاجتماعي، ضد الهاشميين، وأبي طالب عليه السلام. فإما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم النبي محمد صلى الله عليه وآله لها للقتل.

وإما أن يتراجع النبي محمد صلى الله عليه وآله نفسه عن دعوته، وإما أن يموت النبي صلى الله عليه وآله وبنو هاشم جوعاً وذلاً، مع عدم ثبوت مسؤولية محددة على أحد في ذلك، يمكن أن تجر عليهم حرباً أهلية، قد لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، وعواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على عدم التزوج والتزويج لبني هاشم، وبني المطلب، وأن لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليقتلوه.

وقد وقَّع على هذه الصحيفة أربعون رجلاً من وجوه قريش،

---

[١] سيرة مغلطاي ص ٢٣ ، و راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٧٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٧ عن المواهب اللدنية و تاريخ الامم و الملوك للطبري ج ٢ ص ٧٤و البداية و النهاية ج ٣ ص ١٠٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٨ .

وختموها بخواتيمهم، وعلقت الوثيقة فى الكعبة مدة ويقال: إنهم خافوا عليها السرقة؛ فنقلوها إلى بيت أم أبى جهل) [١]

وكان ذلك فى سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات. وقيل فى سنة ست.

في شعب أبي طالب:

وأمر أبو طالب عليه السلام بنى هاشم أن يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وآله الشعب ـ الذي عرف بشعب أبى طالب ـ ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف، فدخلوا معه، باستثناء أبى لهب لعنه الله وأخزاه [٢].

واستمروا فيه إلى السنة العاشرة.

ووضعت قريش عليهم الرقباء، حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.

وكانوا ينفقون من أموال السيدة خديجة عليها السلام، وأبى طالب عليه السلام، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر.

وكان صبيتهم يتضاغون جوعاً، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، وبعضهم يتذمم من ذلك.

وزعموا أن هذا كان يصدر غالباً ممن يتصل بهم نسباً، كأبي العاص

---

[١] هكذا جاء في بعض الروايات في البحار ج ١٩ ص ١٦ عن الخزائج و الجرئح و لا يهمنا تحقيق هذا الامر كثيرا ...

[٢] و قيل : ان ابا سفيان بن الحارث ايضا لم يدخل الشعب معهم ، ولكنه قول نادر . و الاكثر على الاقتصار على ابي لهب لعنه الله ... ولسنا هنا في صدد تحقيق ذلك .

بن الربيع، وحكيم بن حزام، وإن كنا نحن نشك في ذلك، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب عليه السلام إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً، حيث إن المشركين كانوا يلتقون بكل من يقدم مكة أولاً، ويطمعونه بمبالغ خيالية ثمناً لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين.

وكان أبو لهب هو رائدهم في ذلك؛ فكان يوصي التجار بالمغالاة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئاً، ويضمن لهم، ويعوضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم.

بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئاً بنهب أمواله، ويحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

والخلاصة:

أن قريشاً قد قطعت عنهم الأسواق، فلا يتركون لهم طعاماً يقدم مكة، ولا بيعاً إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وآله [١]

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً.

---

[١] البداية و النهاية ج ٣ ص ١٠٦ ط دار احياء التراث و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ ط دار المعرفة و النزاع و التخاصم للمقريزي ص ٦٧.

تضحيات علي عليه السلام:

وكان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام أثناءها يأتيهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يُبْقُوا عليه، كما يقول الإسكافي وغيره [١].

ابو طالب عليه السلام يضحي بولده:

وكان أبو طالب عليه السلام كثيراً ما يخاف على النبي محمد صلى الله عليه وآله البيات في الشعب؛ فإذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي محمد صلى الله عليه وآله على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فإذا نام الناس جاء وأقامه، وأضجع ابنه الإمام علياً عليه السلام مكانه [٢].

وإنما يفعل ذلك ليكون علي عليه السلام فداءً لرسول الله إذا ما فكرت قريش باغتياله صلى الله عليه وآله.

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦.

[٢] شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ و ج ١٤ ص ٦٤، والمناقب لابن شهر أشوب ج ١ ص ٦٥/٦٦ و أسنى المطالب ص ٢١ و لم يصرح باسم (علي) و كذا في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٢ و راجع البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٤ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ و دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣١٢ و تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤٥/١٤١ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ج ٨ ص ٣ و ٤ و ابوطالب مؤمن قريش ص ١٩٤، و ذكر ذلك ابن كثير في البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٤ من دون تصريح بالاسم. و تيسير المطالب ص ٤٩.

وثمة أبيات شعر له رحمه الله مخاطباً بها ولده الإمام علياً عليه السلام بهذه المناسبة،يشجعه فيها على هذا الأمر، وسوف نوردها فيما يأتي، حين الحديث عن إيمان أبي طالب عليه السلام، إن شاء الله تعالى..

نقض الصحيفة:

وبعد ثلاث سنوات تقريباً من حصر المسلمين في شعب أبي طالب، أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله عمه أبا طالب عليه السلام بأن الأرضة قد أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله.

وفي نص آخر: أنها قد أكلت كل اسم لله تعالى فيها، ولم تبق إلا كل ظلم وشر، وقطيعة رحم [١]

والأصح هو الأول، كما هو صريح كلام أبي طالب عليه السلام.

فخرج أبو طالب عليه السلام من شعبه، ومعه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

---

[١] و لربما يقال : ان استمرار قريش على عدائه (صلى الله عليه وآله وسلم) الى حين نقض الصحيفة ، يدل على ان الارضة انما محت اسم الله تعالى . و ابقت قطيعة الرحم . و سائر المواد التي انفقوا عليها .

و قد استبعد ذلك بان اكل الارضة لاسم الله بعيد . فلعلهم التزموا بمضمونها و ان كانت قد محيت ، او انهم اعادوا كتابتها .

و لربما يجاب عن ذلك بان الارضة انما محت اسم الله عنها تنزيها له عن ان يكون في صحيفة ظالمة كهذه ، و هذا الاعجاز مطلوب و راجح من اجل اظهار الحق ، وليس في ذلك اهانة .

وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك.

قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت وعليها أختامهم.

قال لهم أبو طالب عليه السلام: هل تنكرون منها شيئاً؟!

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخى حدثنى ولم يكذبنى قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة، فأكلت كل قطيعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله؛ فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب. ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هى كما قال صلى الله عليه وآله: فكبر المسلمون، وامتعقت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب عليه السلام: أتبين لكم: أينا أولى بالسحر والكهانة؟.

فأسلم يومئذ عالم من الناس.

ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، ومنهم:

هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبا البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وكلهم له رحم ببنى هاشم والمطلب. وتكلموا فى نقضها؛ فعارضهم أبو جهل، فلم يلتفتوا

إلى معارضته، ومزقت الصحيفة، وبطل مفعولها.

وخرج الهاشميون حينئذ من شعب أبي طالب رضوان الله تعالى عليه [1].

حنكة.. وإيمان:

وإن من يطالع أحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة يجد الشواهد الكثيرة الدالة على حنكة أبي طالب وحكمته عليه السلام.

وخير شاهد نسوقه هنا على ذلك، هو ما ذكرناه آنفاً، من أنه طلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، ومزج ذلك بالتعريض بإمكان أن يكون ثمة صلح في ما بينهم وبينه. وذلك من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علناً، بحيث يراها كل أحد، وأيضاً، حتى يهيئهم للمفاجأة الكبرى، ويمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

ولاسيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعداً بما يريد، ويضعهم أمام شرف الكلمة، وعلى محك قواعد النبل واحترام الذات، حسب المعايير التي كانوا يتعاملون على أساسها..

وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد، حتى ليصيح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها

---

[1] راجع فيما تقدم : السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٦ و دلائل النبوة ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣١٢ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨٨ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ ط دار المعرفة و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣١ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦.

وانعكاساتها، وهي ما ظهر من عمق ثقة أبي طالب عليه السلام بصدق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبسداد أمره، وواقعية وحقانية ما جاء به.

حتى لقد كان يتألم جداً من اتهام ابن أخيه بالسحر والكهانة، ويعتبر ذلك افتراءً ظاهراً، ويغتنم الفرصة السانحة للتعبير عن خطل رأيهم، وسفه أحلامهم، فيقول لهم:

«أتبين لكم: أينا أولى بالسحر والكهانة»؟.

ويلاحظ: أنه يعتبر اتهام النبي بالسحر، والكهانة اتهام له أيضاً بذلك، حيث قال: «أينا».

وكانت النتيجة: هي أن أسلم بسبب هذه المعجزة يومئذ، وبسبب حكمة أبي طالب وحنكته، عالم من الناس.

التحدي في أقصى مداه:

ثم هو يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش وفراعنتها، حينما جاءه النبي محمد صلى الله عليه وآله ـ وقد ألقت عليه قريش سلى ناقة ـ فأخذ رحمه الله السيف، وأمر حمزة عليه السلام بأن يأخذ السلى، وتوجه إلى القوم، فلما رأوه مقبلاً عرفوا الشر في وجهه، ثم أمر حمزة عليه السلام أن يلطخ بذلك السلى سبالهم، واحداً واحداً، ففعل [1].

---

[1] الكافي نشر مكتبة الصدوق ج ١ ص ٤٤٩ و منية الراغب ص ٧٥ و راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ و السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٢٣١ و البحار ج ١٨ ص ٢٥٩ .

وفي نص آخر: أنه نادى قومه، وأمرهم بأن يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون أرادوا التفرق؛ فقال لهم:

«ورب البنية، لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ذلك حتى أدماها ـ وفاعل ذلك هو ابن الزبعرى ـ وأَمَرَّ بالفرث والدم على لحاهم» [1]

من مواقف أبي طالب عليه السلام:

قلنا: إن أبا طالب شيخ الأبطح عليه السلام هو الذي حامى وناصر النبي محمداً صلى الله عليه وآله بيده ولسانه، وحدب عليه منذ طفولته، وواجه المصاعب الكبيرة، والمشاق العظيمة، في سبيل الدفع عنه، والذود عن دينه ورسالته، ومنح بذلك هذا الدين الفرصة للتوسع والانتشار، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

وكان عليه السلام يقدِّم النبى صلى الله عليه وآله على أولاده جميعاً، وقد أرجعه بنفسه من بصرى إلى مكة عندما حذره بحيرا من مكر اليهود.

نعم، وهو الذي رضى بعداء قريش له، وبمعاناة الجوع والفقر، والنبذ الاجتماعي، ورأى الاطفال يتضاغون جوعاً، حتى اقتاتوا ورق الشجر.

---

[1] راجع الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٥٩ و ج ٨ ص ٤/٣ و ابوطالب مؤمن قريش ص ٧٣ كلاهما عن العديد من المصادر و ثمرات الاوراق ص ٢٨٦/٢٨٥ و نزهة المجالس ج ٢ ص ١٢٢ و الجامع لاحكام القران ج ٦ ص ٤٠٦/٤٠٥ و تاريخ اليعقوبي ج ص ٢٥/٢٤ .

بل لقد أعلن بصراحة: أنه مستعد لأن يخوض حرباً طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، ولا يسلّم النبى محمداً صلى الله عليه وآله لهم، ولا يمنعه من الدعوة إلى الله، بل هو لا يطلب منه ذلك على الأقل.

وتقدم: أنه هو الذي أمرَّ السلى على لحى جبابرة قريش، وفى الشعب كان يحرس النبى الأعظم صلى الله عليه وآله بنفسه وينقله من مكان إلى آخر.

وهو الذي كان ينيم ولده الإمام علياً عليه السلام مكانه، ليكون ولده فداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويصاب به دونه.

وكان يدفع قريشاً عنه باللين تارة، وبالشدة أخرى. وينظم الشعر السياسى، ليثير العواطف، ويدفع النوازل، ويهىء الأجواء لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وحماية أتباعه.

وقد افتقد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله مرة «فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، وسلحهم، وأراد أن يجعل كل واحد منهم إلى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت أن محمداً أصابه شر» [1].

كل ذلك فى سبيل الدفع عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ورفعة شأنه.

وواضح: أن الإلمام بكل مواقف أبي طالب عليه السلام، وتضحياته

[1] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦ و ابوطالب مؤمن قريش ص ١٧١ و منية الراغب ص ٧٦/٧٥ و الغدير ج ٢ ص ٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١.

الجسام يحتاج إلى وقت طويل، وجهد مستقل.

ونحن نكتفي بهذه الإشارة، ونعترف أننا لم نقض حقه كما ينبغي له.

نتائج، وآثار:

يظهر مما تقدم أن أبا طالب عليه السلام، شيخ الأبطح، قد:

١ ـ تخلى حتى عن مكانته في قومه، إلى بديل آخر هو في الاتجاه المضاد تماماً، وهو العداء لهم، ولسائر أهل بلده، بل والدنيا بأسرها، بل ويتحمل النفي والنبذ الاجتماعي له، ولكل من يلوذ به، ولا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها، ولا تلين له قناة، ولا تصدع صفاة.

٢ ـ رضي بتحمل الجوع والفقر والمحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله وكل ما لديه في سبيل هذا الدين.

٣ ـ وطن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهي بإبادة الهاشميين وأعدائهم، إذا لزم الأمر.

٤ ـ ضحى حتى بولده الأصغر سناً الإمام علي عليه السلام، وتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر عليه السلام، المهاجر إلى الحبشة.

٥ ـ جاهد بيده ولسانه، واستخدم كل ما لديه من إمكانات مادية ومعنوية، ولم يبال بكافة الصعاب والمشاق، في دفاعه عن النبي، وحياطة دينه بالرعاية والعناية، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

سؤال وجوابه:

ويرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفي، ونابعاً عن حمية النسب والقبيلة؟!

أو على حد تعبير البعض: بدافع من «حبه الطبيعى» لابن أخيه [١].

وجوابه:

١ ـ ما يأتى من أدلة قاطعة على إيمان أبى طالب عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ يؤيد ذلك: أنه إذا كان النبى محمد صلى الله عليه وآله ابن أخيه؛ فإن الإمام علياً عليه السلام ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هى الدافع، فلماذا يضحى بولده ويرضى بأن يغتاله المشركون دون ابن أخيه، طائعاً مختاراً، بعد تفكير وتأمل وتدبر لعواقب ذلك؟!

أم يعقل أن يكون حبه الطبيعي لابن أخيه أكثر منه لولده، وفلذة كبده؟!.

٣ ـ أما الحمية القبلية، والرابطة النسبية، فلو كانت هى السبب فى موقفه ذاك، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه الله لأن يقف موقف أبى طالب عليه السلام؟ فيدفع عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله، ويضحى فى سبيله؟ حتى بولده، وبمكانته، وبكل ما يملك؟!.

بل كان لعنه الله من أشد الناس على النبى محمد صلى الله عليه وآله، وأكثرهم جرأة عليه، وإيذاء له.

وأما ساير بنى هاشم، فإنهم وإن دخلوا الشعب مع النبى محمد صلى الله عليه وآله، إلا أن تضحياتهم فى سبيل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبى طالب عليه السلام، كما أنهم إنما وقفوا

---

[١] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج ٣ ص ٣٩٤.

هذا الموقف تحت تأثير نفوذ أبي طالب عليه السلام، وإصراره..

وهكذا يتضح: أن حمية الدين أقوى من حمية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم وأولادهم في سبيل دينهم.

وقد استأذن عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل أبيه [١]

وفي صفين أيضاً لم يرجع الأخ عن أخيه، حتى أذن له أمير المؤمنين عليه السلام بتركه [٢].

وقد قتل أهل الكوفة إخوانهم، وأبناءهم، وأبناء عمهم، حين أصبحوا خوارج [٣] إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة، التي لا حاجة لاستقصائها هنا.

٤ ـ ثم إنه لو كان أبو طالب عليه السلام يفعل ذلك من أجل الدنيا؛ فقد كان يجب أن يضحي بابن أخيه دون ولده، ويضحي به دون عشيرته؛ لأنه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، وسممت أم الهادي ولدها، لا أن يضحي بكل شيء دونه، ويصر على ذلك، حتى بقيمة خوض حرب تكون نتيجتها أن يقتل هو، ويقتل معه

---

[١] تفسير الصافي ج ٥ ص ١٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤ و الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤ عن عبد بن حميد ، و ابن المنذر و الاصابة ج ٢ ص ٣٣٦ .

[٢] صفين للمنقري ص ٢٧٢/٢٧١ و البحار ج ٣٢ ص ٤٧٥ و شرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ٢١٥ .

[٣] راجع كتابا : علي و الخوارج ج ٢ ص ٧٧ فما بعدها .

الهاشميون، وطائفة كبيرة من قومهم الذين عاشوا معهم.

٥ ـ وأيضاً، فإن الحمية القبلية ـ لو كانت ـ فإنما تؤثر أثرها فى حدود مصالح القبيلة، والحفاظ على شؤونها، ومستقبلها، أما إذا أصبحت هذه الحمية سبباً فى تدمير القبيلة، والقضاء عليها، وتعطيل مصالحها، وتعريض مستقبلها للأخطار الجسام؛ فإن هذه الحمية لا يمكن أن يفسح لها المجال، ولا أن يظهر لها أثر لدى عقلاء الرجال.

عام الحزن:

وفى السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم، أبى طالب عليه الصلاة والسلام ناصر النبى صلى الله عليه وآله، وحافظ الدين وحامل لواء الدعوة إليه.

ثم توفيت بعده بمدة وجيزة ـ قيل: بثلاثة أيام، وقيل بعده بحوالى شهر [١] ـ السيدة خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها، أفضل أزواج النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، وأحسنهن سيرة وأخلاقاً.

ونستطيع أن نعرف: كم كان لأبى طالب عليه السلام، وللسيدة خديجة صلوات الله وسلامه عليهما من خدمات جلى فى سبيل هذا الدين من تسمية النبي صلى الله عليه وآله عام وفاتهما بـ «عام الحزن» [٢].

---

[١] السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٦ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٢ والبداية و النهاية ج ٣ ص ١٢٧ و التنبيه و الاشراف ص ٢.

[٢] سيرة مغلطاي ص ٢٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ و المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٦ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٩ ط دار المعرفة و أسنى المطالب ص ٢١.

الحب في الله والبغض في الله:

ومن الواضح: أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ينطلق في حبه لهما، وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمية، وإنما هو يحب في الله تعالى، وفي الله فقط. ويقدِّر أي إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحياً وعاطفياً، بمقدار ارتباط ذلك الإنسان بالله، وقربه منه، وتفانيه في سبيله، وفي سبيل دينه ورسالته.

أي أنه صلى الله عليه وآله لم يتأثر على أبي طالب والسيدة خديجة عليهما السلام؛ لأن هذه زوجته وذاك عمه. وإلا فقد كان أبو لهب عمه أيضاً. وإنما لما لمسه فيهما من قوة إيمان، وصلابة في الدين، وتضحيات وتفان في سبيل الله، والعقيدة. وفي سبيل المستضعفين في الأرض، ولما خسرته الأمة فيهما، من جهاد وإخلاص قل نظيره في تلك الظروف الصعبة والمصيرية.

وقد ألمح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى ذلك حينما جعل موت أبي طالب والسيدة خديجة عليهما السلام، مصيبة للأمة بأسرها، كما هو صريح قوله في هذه المناسبة:

«.. اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً» [1].

---

[1] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ ط صادر .

الفصل الرابع

إيمان أبي طالب عليه السلام

إيمان أبي طالب عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام :

ولا بد لنا هنا من الحديث بإيجاز عن موضوع ما زال بين أخذ ورد بين المسلمين.

ألا وهو إيمان أبي طالب رحمه الله، فمن مؤيد، ومن منكر.

فأما أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فإنهم مجمعون على إيمانه وإسلامه عليه السلام [1] بل في بعض الأحاديث عنهم عليهم السلام: أنه من الأوصياء [2].

وأن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي محمد صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام، والسيدة فاطمة الزهراء

---

[1] روضة الواعظين ص ١٣٨ ، و أوائل المقالات ص ١٣ و الطرائف لابن طاووس ص ٢٩٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦٥ ، و البحار ج ٣٥ ص ١٣٨ و الغدير ج ٧ ص ٣٨٤ عنهم ، و عن : التبيان ج ٢ ص ٣٩٨ ، و كتاب الحجة لابن معد ص ١٢ و مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧ .

[2] الغدير ج ٧ ص ٣٨٩ .

عليها السلام [1]

أهل البيت عليهم السلام أدرى:

والأحاديث الدالة على إيمانه، والواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام لا تنحصر بما ذكرناه في هذه الدراسة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة [2].

وقد ذكر العلامة المجلسي في كتابه العظيم «بحار الأنوار» ج٣٥ والطبسي في كتاب «منية الراغب» وكذلك الخنيزي في كتاب «أبو طالب مؤمن قريش» صاحب كتاب: «مواهب الواهب» وغيرهم الشيء الكثير جداً مما يدل على إيمانه صلوات الله وسلامه عليه.. ونحن سوف نقتصر في هذا المعرض على أقل القليل من ذلك ونحيل من أراد التوسع إلى كتاب البحار الآنف الذكر، وإلى غيره..

غير أننا نقول هنا: إن هذه الأخبار هي من الكثرة والصراحة بحيث تعطي الانطباع الحاسم عما لأبي طالب، من شأن عظيم، ومقام كريم عند الله تعالى.

---

[1] الغدير ج ٧ ص ٣٨٧ و كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ و أمالي الطوسي ص ٣٠٥ و ٧٠٢ ط مؤسسة البعثة و الاحتجاج ج ١ ص ٣٤١ ط مطبعة النعمان و البحار ج ٣٥ ص ٦٩ و ١١٠ و بشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري ص ٣١٢ ط مؤسسة النشر الاسلامي و كشف الغمة للاربلي ج ٢ ص ٤٢ ط دار الاضواء و مائة منقبة لمحمد بن احمد القمي ص ١٧٤ .

[2] و من هذه الكتب كتاب : منية الراغب في ايمان ابي طالب للشيخ الطبسي و مواهب الراهب في ايمان طالب و غير ذلك .

وواضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه، من كل أحد.

يقول ابن الأثير:

«وما أسلم من أعمام النبى صلى الله عليه وآله غير حمزة والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت» [1].

تآليف في إيمان أبي طالب عليه السلام:

وعدا عن ذلك، فما أكثر الأدلة الدالة على إيمانه، وقد أُلف فى إثبات إيمانه، الكثير من الكتب من السنة والشيعة على حد سواء.

وقد أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كتاباً، ومنها كتاب: «أبو طالب مؤمن قريش» للأستاذ عبد الله الخنيزي، الذي كاد أن يدفع مؤلفه حياته ثمناً له، حين حاول الوهابيون اتخاذ ذلك ذريعة، للتخلص منه، فتداركه الله برحمته، وتخلص من شرهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبثوثة فى ثنايا الكتب والموسوعات، ونخص بالذكر هنا ما جاء فى كتاب الغدير للعلامة الأمينى قدس سره.. [2]

وقد نقل العلامة الأميني عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا إلى ذلك أيضاً، وكتبوا الكتب والبحوث في إثبات ذلك، كالبرزنجي في

---

[1] البحار ج ٣٥ ص ١٣٩ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٩.

[2] راجع: ج ٧ و ج ٨.

أسنى المطالب [١] والأجهوري، والإسكافي، وأبي القاسم البلخي، وابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الأخبار، والتلمساني في حاشية الشفاء، والشعراني، وسبط ابن الجوزي، والقرطبي، والسبكي، وأبي طاهر، والسيوطي، وغيرهم.

بل لقد حكم عدد منهم ـ كابن وحشي والأجهوري، والتلمساني ـ بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر [٢].

من أدلة إيمان أبي طالب عليه السلام :

ونحن نذكر فيما يلي طرف من الأدلة على إيمان أبي طالب، فنقول:

أهل البيت أعرف:

وقد تقدم بعض ما روي عن الأئمة عليهم السلام، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله مما يدل على إيمانه، وقد قلنا: إن أهل البيت أدرى بما فيه، وأعرف بأمر كهذا من كل أحد.

التضحيات والمواقف:

ويدل على ذلك أيضاً: ما تقدم من مناصرته للنبي صلى الله عليه وآله، وتحمله المشاق والصعاب العظيمة، وتضحيته بمكانته في قومه، وحتى بولده، وتوطينه نفسه على خوض حرب طاحنة تأكل الأخضر

---

[١] راجع: ص ٦ و ١٠.

[٢] راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ و غير ذلك.

واليابس في سبيل هذا الدين..

ولو كان كافراً؛ فلماذا يتحمل كل ذلك؟!

ولماذا لم نسمع عنه ولو كلمة عتاب أو تذمر مما جرَّه عليه النبى محمد صلى الله عليه وآله؟!.

واحتمال: أن يكون قد طمع بمقام دنيوي أعظم.

يرده: أن الطامع إنما يسعى للحفاظ على حياته لينال ما طمع به، أما أبو طالب فكان على استعداد لأن يقتل هو وجميع أولاده، وعشيرته فى سبيل هذا الدين.

تشنيع الأعداء:

وقد استدل سبط ابن الجوزي على إيمانه بأنه لو كان أبو الإمام على عليه السلام كافراً لكان شنع عليه معاوية وحزبه، والزبيريون وأعوانهم، وسائر أعدائه عليه السلام، مع أنه عليه السلام كان يذمهم، ويزري عليهم بكفر الآباء والأمهات، ورذالة النسب [١].

أشعاره الصريحة بالإيمان:

تصريحاته وأقواله الكثيرة جداً؛ فإنها كلها ناطقة بإيمانه وإسلامه.

ويكفي أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله:

---

[١] راجع : ابوطالب مؤمن قريش ٢٧٣/٢٧٢ ط سنة ١٣٩٨ هـ عن تذكرة الخواص .

إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، من حيث مجموعها [١].

فمن الشواهد على توحيده، قوله:

مليك الناس ليس له شريك   هو الوهاب، والمبدئ المعيد

ومن تحت السماء له بحق   ومن فوق السماء له عبيد

ومن الشواهد على إيمانه بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، نذكر:

١ـ ألم تعلموا: أنا وجدنا محمداً   نبياً كموسى خط في أول الكتب

٢ـ نبي أتاه الوحي من عند ربه   ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

٣ـ يا شاهد الله علي فاشهد   إني على دين النبي أحمد

٤ـ أنت الرسول رسول الله نعلمه   عليك نزل من ذي العزة الكتب

٥ـ أنت النبي محمد   قرم أغر مسوَّد

٦ـ أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب   على نبي كموسى أو كذي النون

٧ـ وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى و أمر أتي من عند ذي العرش قيم

٨ـ لقد أكرم الله النبي محمداً   فأكرم خلق الله في الناس أحمد

٩ـ وخير بني هاشم أحمد   رسول الإله على فترة [٢]

---

[١] شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨ و البحار ج ٣٥ ص ١٦٥ .

[٢] و قيل : ان قائل هذا البيت هو طالب بن ابي طالب . راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ص ٧٨ . الا ان يقال : انه قاله على سبيل التمثل بشعر ابيه (رحمه الله) .

١٠ـ والله لا أخذل النبي ولا   يخذله من بني ذو حسب

١١ـ وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة، ويدعوه إلى الإسلام:

أتعلم ملك الحبش أن محمداً   نبياً كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به   فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم   بصدق حديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا لله ندا فأسلموا   فإن طريق الحق ليس بمظلم

١٢ـ وقال مخاطباً أخاه حمزة رحمه الله:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد   وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من أتى بالحق من عند ربه   بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً
فقد سرني أن قلت: إنك مؤمن   فكن لرسول الله في الله ناصراً
وباد قريشاً في الذي قد أتيته   جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحراً
١٣ـ نصرت الرسول رسول المليك   ببيض تلالا كلمع البروق
أذب وأحمى رسول الإله   حماية حام عليه شفيق
١٤ـ لقد علموا: أن ابننا لا مكذب   لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل
١٥ـ أقيم على نصر النبي محمد   أقاتل عنه بالقنا والقنابل
١٦ـ أنت ابن آمنة النبي محمد   عندي بمثل منازل الأولاد
١٧ـ ألا إن أحمد قد جاءهم   بحق ولم يأتهم بالكذب
١٨ـ أوصي بنصر نبي الخير مشهده   علياً ابني وشيخ القوم عباسا

١٩ـ ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أميناً

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

وأشعار أبي طالب عليه السلام الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل، ويقال في هذا الموضوع.

مدائح أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله :

قال المعتزلي: «قلت: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق رحمه الله يقول: لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش، ورئيسها، وذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمداً وهو شاب قد ربي في حجره. وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوي إليه هاشم إن هاشماً عرانين كعب آخر بعد أول

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابى من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء.

فإذا تصورت: أنه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في النبي محمد صلى الله عليه وآله. وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً.

يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وأن أمره كان عظيماً» [1]

كما أن قصيدته اللامية تلك التي يقول فيها:

وأبيض يستسقى.. الخ..

وهي طويلة، وكان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم [2] فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، وقد ذكرها ابن هشام وابن كثير، وغيرهم.

وهي ظاهرة الدلالة علىعظمة الرسول صلى الله عليه وآله في نفس أبي طالب عليه السلام، وهي عظمة أوجبت خضوع قلبه له صلى الله عليه وآله، وتعامله معه تعامل التابع، المؤمن المصدق، والمسرور بهذا الإيمان، والمبتهج بذلك التصديق، والملتذ بذلك الانقياد.

النار محرمة على أبي طالب عليه السلام :

ومما يدل على إيمانه ما روي عنه صلى الله عليه وآله: أن الله عز وجل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك.

أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه، يعني أبا

---

[1] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٣ و ماذا في التاريخ ج ٣ ص ١٩٧/١٩٦ عنه .

[2] مقاتل الطالبيين ص ٣٩٦.

طالب عليه السلام، وفاطمة بنت أسد. وبمعناه غيره مع اختلاف يسير [١]

النبي صلى الله عليه وآله يحب عقيلاً حبين:

ومما يدل دلالة واضحة على إيمانه: حب النبي صلى الله عليه وآله إياه، حتى لقد روي عن ابن عباس؛ قال: قال علي للنبي صلى الله عليه وآله: إنك لتحب عقيلاً.

قال: إي والله إني لأحبه حبين، حباً له، وحباً لحب أبي طالب له. وإن ولده لمقتول في محبة ولدك.. الخ.. [٢]

ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يحب أعداء الله سبحانه، ولا يحب إلا من يحبه الله.

كان على دين الله:

وكان الإمام علي عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوَّن، وقال: تعلموه، وعلموه أولادكم، فإنه كان على دين

[١] اصول الكافي ج ١ ص ٣٧١ و البحار ج ٣٥ ص ١٠٩ و التعظيم و المنة للسيوطي ص ٢٧ و راجع روضة الواعظين ص ١٣٩ و شرح النهج ج ١٤ ص ٦٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٧٨ عنهم ، و عن : كتاب الحجة لابن معد ص ٨ و تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٠ .

[٢] البحار ٢٢ ص ٢٨٨ و ج ٤٤ ص ٢٨٨ و العوالم للبحراني ص ٣٤٩ و معجم رجال الحديث للخوئي ج ١٩ ص ١٦٦ عن أمالي الصدوق و قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٢٢ عن أمالي الصدوق ايضا .

الله، وفيه علم كثير [1]

المسلم المؤمن:

وعن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً [2].

خلاصة جامعة:

وبعد كل ما تقدم نقول: إن إسلام أي شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور أربعة:

١ ـ من مواقفه العملية، ومعلوم أن مواقف أبي طالب عليه السلام، قد بلغت الغاية التي ما بعدها غاية في الوضوح والدلالة على إخلاصه وتفانيه في الدفاع عن هذا الدين.

٢ ـ من إقراراته اللسانية بالشهادتين، وقد تقدم قدر كبير من ذلك في شعره وفي غيره في المناسبات المختلفة.

٣ ـ من موقف نبي الإسلام ورائد الحق الذي لا ينطق عن الهوى. والموقف الرضي هذا أيضاً ثابت منه صلى الله عليه وآله تجاه أبي طالب عليه السلام على أكمل وجه.

---

[1] راجع : البحار ج ٣٥ ص ١١٥ ، والغدير ج ٧ ص ٣٩٤ و الكني و الالقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص ١٠٩ .

[2] البحار ج ٣٥ص ١٦ و ابوطالب حامي الرسول لنجم الدين العسكري ص ١٩١ و الغدير ج ٧ ص ٣٩٠.

٤ ـ من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، وعن حس، كأهل بيته، ومن يعيشون معه.

وقد قلنا: إنهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يخدعوا العامة بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا:

«إنه لم يكن منقاداً»!! [1].

كل ذلك رجماً بالغيب، وافتراء على الحق والحقيقة، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيرة بن شعبة وأمثاله من أعداء آل أبي طالب عليه السلام، كما سنشير إليه حين ذكر أدلتهم الواهية إن شاء الله تعالى.

رواياتهم تدل أيضاً على إيمانه:

ومن أجل أن نوفي أبا طالب عليه السلام بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه من الروايات التي رويت في مصادر غير الشيعة عموماً ونترك سائره، وهو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، نجملها في العناوين التالية:

النبي ﷺ يرجو الخير لأبي طالب عليه السلام:

قال العياص: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؛ قال: كل الخير

---

[1] راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٧/٤٤، و الاصابة ج ٤ ص ١١٩/١١٦.

أرجوه من ربي [١].

أبو بكر فرح بإسلام أبي طالب عليه السلام :

جاء أبو بكر بأبيه أبى قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقوده، وهو شيخ أعمى، يوم فتح مكة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ فى بيته حتى نأتيه؟!

قال: أردت أن يؤجره الله. لأنا كنت بإسلام أبى طالب أشد فرحاً منى بإسلام أبى، ألتمس بذلك قرة عينك الخ [٢].

والعلامة الأمينى فى الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد قال لأبي بكر: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه.

ونحن نوافقه على ذلك أيضاً، فإن الشيوخ الذين أسلموا على يديه صلى الله عليه وآله كثيرون، وكان إسلام كثير منهم أصح من إسلام أبى قحافة.

وربما تكون هذه العبارة زيادة من بعض المتزلفين، كما عودونا في أمثال هذه المناسبات.

---

[١] الاذكياء ص ١٢٨ و شرح للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ ، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩ ط ليدن ، و البحار ج ٣٥ ص ١٥١ و ١٠٩ .

[٢] مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبراني و البزار ، و حياة الصحابة ج ٢ ص ٣٤٤ عن المجمع ، و الاصابة ج ٤ ص ١١٦ و شرح للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩ .

التشهد قبل الموت:

قال المعتزلي: «روي بأسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله» [١]

وتقدم في شعره تصريحات كثيرة بذلك أيضاً.

استغفار النبي صلى الله عليه وآله له:

وفي المدينة حينما استسقى النبي صلى الله عليه وآله لأهلها، فجاءهم الغيث، ذكر صلى الله عليه وآله أبا طالب عليه السلام، وقال صلى الله عليه وآله:

لله در أبي طالب، لو كان حياً لقرت عينه، من ينشدنا قوله.. فأنشده الإمام علي عليه السلام من قصيدته أبياتاً فيها قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ورسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر لأبي طالب عليه السلام على المنبر [٢]

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧١، و راجع الغدير ج ٧ ص ٣٦٩ عن البداية و النهاية ج ٣ ص ١٢٣ و السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٧ و الاصابة ج ٤ ص ١١٦ و عيون الاثر ج ١ ص ١٣١ و المواهب اللدنية ج ١٠ ص ٧١ و السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ و السيرة النبوية لدحلان بهامشها ج ١ ص ٨٩ و اسنى المطالب ص ٢٠ و دلائل النبوة للبيهقي و تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ١٢٠ و كشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤.

[٢] راجع عيون الانباء ص ٧٠٥ و شيخ الابطح ص ٥٥ و ٥٦ عن شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٣١٦.

تشيع جنازته ومراسم دفنه:

ولما مات أبو طالب عليه السلام تبع رسول الله صلى الله عليه وآله جنازته، مع أنهم يروون أن ثمة نهياً عن المشي في جنازة المشرك.

كما أنهم يروون أنه صلى الله عليه وآله أمر الإمام علياً عليه السلام بأن يغسله ويكفنه ويواريه [١].

وحين التشييع اعترض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نعشه، وقال: برقة وحزن وكآبة: وصلت رحماً، وجزيت خيراً يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً [٢].

---

[١] راجع في كل ذلك تذكرة الخواص ص ٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٧ و المصنف ج ٦ ص ٣٨ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٧ و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٨ و تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦ و ج ١٣ ص ١٩٦ و البداية و النهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٥، و الطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في نهاية الطلب و البحار ج ٣٥ ص ١٥١ و التعظيم المنة ص ٧ و لسان الميزان ج ١ ص ٤١ و الاصابة ج ٤ ص ١١٦، و الغدير ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٥/٣٧٤ عمن ذكر، و عن شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦ و اعلام النبوة للماوردي ص ٧٧ و بدايع الصنايع ج ١ ص ٢٨٣ و عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥ و اسنى المطالب ص ١٥ و ٢١ و ٣٥ وطلبة الطالب ص ٤٣ و دلائل النبوة للبيهقي و الرزنجي و ابن خزيمة و ابي داود و ابن عساكر.

[٢] راجع البحار ج ٣٥ ص ١٢٥ و ١٦٣ و راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٦ و الاصابة ج ٧ ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥ هـ و شرح الاخبار للقاضي النعمان ج ٢ ص ٥٥٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٨٦ و الدرجات الرفيعة لابن معصوم ص ٦٢.

لماذا لم يأمر بالصلاة عليه؟:

وإنما لم يأمر علياً عليه السلام بالصلاة عليه، لأن صلاة الجنازة لم تكن فرضت بعد.

ولأجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حينما توفيت، مع أنها سيدة نساء العالمين.

وقد فصلت ذلك الرواية التي رواها علي بن ميثم، عن أبيه عن جده: أنه سمع علياً عليه السلام يقول: تبع أبو طالب عبد المطلب في كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: اذهب فواره، وانفذ لما أمرك به.

فغسلته، وكفنته، وحملته إلى الجحون، ونبشت قبر عبد المطلب، فرفعت الصفيح عن لحده، فإذا هو موجه إلى القبلة، فحمدت الله تعالى على ذلك، ووجهت الشيخ، وأطبقت الصفيح عليهما، فأنا وصي الأوصياء وورثت خير الأنبياء.

قال ميثم: والله ما عَبَدَ علي، ولا عَبَدَ أحد من آبائه غير الله تعالى، إلى أن توفاهم الله تعالى [١].

رثاء علي عليه السلام لأبيه:

وقد رثاه ولده الإمام علي عليه السلام حينما توفي بقوله:

---

[١] سفينة البحار ج ٥ ص ٣٢١.

أبا طالب عصمة المستجير   وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ   فصلى عليك ولي النعم

ولقاك ربك رضوانه   فقد كنت للطهر من خير عم [١]

ولا أبو سفيان كأبي طالب عليه السلام:

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة مطولة لمعاوية جاء فيها:

«ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق» [٢]

فإذا كان أبو طالب عليه السلام كافراً وأبو سفيان مسلماً، فكيف يفضل الكافر على المسلم، ثم لا يرد عليه ذلك معاوية بن أبي سفيان؟.

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً؛ فإن أبا سفيان هو الذي قال: «إنه لا يدري ما جنة ولا نار» كما ذكرناه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم في أواخر غزوة أحد [٣].

---

[١] تذكرة الخواص ص ٩.

[٢] صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧١ و الفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٢٦٠، و نهج البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٨ الكتاب رقم ١٧ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١١٧ و الامامة و السياسة ج ١ ص ١١٨ و الغدير ج ٣ ص ٢٥٤ عنهم و عن ربيع الابرار للزمخشري باب ٦٦، و عن مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢. و راجع ايضا مناقب الخوارزمي الحنفي ص ١٨٠.

[٣] الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) ج ٦ ص ٢٧٣.

ويلاحظ هنا أيضاً: أن أمير المؤمنين عليه السلام يشير في كلامه الآنف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاوية، ولهذا البحث مجال آخر.

أبو طالب عليه السلام الداعية إلى الإسلام:

كما أن أبا طالب عليه السلام الذي يدعو ملك الحبشة إلى الإسلام، هو الذي دعا ولده جعفراً إلى ذلك، وأمره بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة [١]

وهو أيضاً الذي دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الإسلام [٢].

وأمر حمزة بالثبات على هذا الدين، وأظهر سروره بإسلامه ومدحه على ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة لولده أمير المؤمنين عليه السلام.

الاعتراف بممارسة التقية:

وقد صرح أبو طالب عليه السلام في وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقية في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله قد قبله الجنان وأنكره اللسان؛ مخافة الشنآن. وأوصى قريشاً

---

[١] راجع : الاوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ١٥٤ ، و روضة الواعظين ص ١٤٠ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٩ و السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩ و أسنى المطالب ص ١٧ و الاصابة ج ٤ ص ١١٦ و أسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٥٧ .

[٢] شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٢ .

بقبول دعوة الرسول، ومتابعته على أمره، ففي ذلك الرشاد والسعادة [١].

موقف النبي صلى الله عليه وآله من أبي طالب عليه السلام :

ثم هناك ترحم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليه، واستغفاره له باستمرار، وجزعه عليه عند موته [٢].

ولا يصح الترحم إلا على المسلم، ولأجل ذلك قال صلى الله عليه وآله لسفانة بنت حاتم الطائي: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه [٣].

أنا على دين أبي طالب عليه السلام :

وحمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه [٤].

---

[١] الروض الانف ج ٢ ص ١٧١ و ثمرات الاوراق ص ٩٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٢/٣٠١ و السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٢ و البحار ج ٣٥ ص ١٠٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٦ عن مصادر اخرى .

[٢] تذكرة الخواص ص ٨.

[٣] السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ و كنز العمال ج ٣ ص ٦٦٤ و تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١١ ص ٣٥٩ و ج ٦٩ ص ٢٠٣ و البداية و النهاية ج ٥ ص ٨٠ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٣٢ و سبل الهدى و الرشاد للشامي ج ٦ ص ٣٧٧ و شجرة طوبى ج ٢ ص ٤٠٠ .

[٤] طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٧ ط ليدن .

شفاعة النبي صلى الله عليه وآله له:

وورد عنه صلى الله عليه وآله أيضاً قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي، وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية [١]

إقراره على زواجه بمسلمة:

وسئل الإمام السجاد عليه السلام عن إيمان أبي طالب عليه السلام، فقال:

واعجباً، إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؛ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات [٢]

ونزول آية النهي عن الإمساك بعصم الكوافر في المدينة، لا يوجب بطلان هذه الرواية، لإمكان أن يكون النهي عن ذلك نهياً قولياً على لسانه صلى الله عليه وآله، قبل نزول القرآن.

وعدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك.

---

[١] ذخائر العقبي ص ٧ عن تمام الرازي في فوائده ، و الدرج المنيفة للسيوطي ص ٨ و مسالك الحنفا ص ١٤ عن ابي نعيم و غيره و ذكر أن الحاكم صححه ، و تفسير القمي ج ١ ص ٣٨٠ و تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٨ و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٢ .

[٢] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ ، و الغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٨٩ عنه و عن كتاب الحجة ص ٢٤ و الدرجات الرفيعة و ضياء العالمين و ادعي تواتر هذا الحديث عندنا .

من لم يقر بإيمان أبي طالب عليه السلام :

وأخيراً، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن إسلام أبى طالب عليه السلام، فإنه قد شك فى ذلك، فكتب عليه السلام إليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

وبعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار [2].

دفاع النبي صلى الله عليه وآله عن أبي طالب عليه السلام :

وسيأتى فى غزوة بدر: أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لم يقبل من شهيد بدر عبيدة بن الحارث أن يعرض بعمه أبى طالب عليه السلام، ولو بمثل أن يقول: إني أولى بما قال منه.

بعد قتل الفرسان الثلاثة:

وفى بدر العظمى، وبعد قتل عتبة وشيبة والوليد، وقطع رجل عبيدة بن الحارث، حمل حمزة والإمام على عليهما السلام عبيدة بن الحارث من المعركة، وأتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وألقياه بين يديه، وإن مخ ساقه ليسيل، فاستعبر، وقال: يا رسول الله، ألست شهيداً؟!

قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي (مما يشير إلى أنه لسوف

---

[1] الاية ١١٥ من سورة النساء .

[2] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ و الغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكي ص ٨٠، و كتاب الحجة لابن معد ص ١٦ ، والدرجات الرفعية و البحار و ضياء العالمين .

تأتي قافلة من الشهداء من أهل بيته صلى الله عليه وآله، وهكذا كان فقال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامي تعني؟

قال: أبو طالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يُبْزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!.

قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟

قال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك [1].

وبلغ عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله الصفراء، فمات، فدفن بها..

---

[1] راجع : تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥ و البحار ج ١٩ ص ٢٥٥ و في شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٠ أن رسول الله استغفر له و لابي طالب و يومئذ و الغدير ج ٧ ص ٣١٦ .و في نسب قريش لمصعب ص ٩٤ ان عبيدة قال يا رسول الله ليست ابا طالب حيا حتى يرى مصداق قوله الخ . و ربما يقال ان هذا هو الانسب بأدب عبيدة و اخلاصه ولكن لا فان قوله الانف لا يضر في ادبه و لا في اخلاصه حيث يرى نفسه قد ضحى بنفسه في سبيل الدين فلا مانع من ان يقول ذلك .

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير منها.

قالوا: ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [١]

وفي البخاري: أن أبا ذر كان يقسم: أنها نزلت فيهم [٢].

ونزل في علي، وحمزة، وعبيدة أيضاً قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٣].

وقيل: نزلت في علي وحده [٤].

وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على أمير المؤمنين عليه السلام [٥] فراجع.

---

[١] الاية ١٩من سورة الحج .

[٢] البخاري ط الميمنية ج ٣ ص ٤ و مناقب ال ابي طالب لابن شهر أشوب ج ٣ ص ١١٨ عن مسلم من دون قسم ابي ذر و المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ و صححه هو و الذهبي في تلخيصه و الغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عن تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ و تفسير ابن جزي ج ٣ ص ٣٨ و تفسير الخازن ج ٣ ص ٦٩٨ و الجامع لاحكام القران للقرطبي ج ٢ ص ٢٥-٢٦ و صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠ و بهذا قال ابن عباس و ابن خثيم و قيس بن عباد و الثوري و الاعمش و سعيد بن جبير و عطاء .

[٣] الاية ٢٣ من سورة الاحزاب الصواعق المحرقة ص ٨٠.

[٤] مناقب الخوارزمي ص ١٨٨ و الكفاية للخطيب ص ١٢٢ .

[٥] المناقب لابن شهر أشوب ج ٣ ص ١١٨ و غيره .

غضب النبي صلى الله عليه وآله لأبي طالب عليه السلام :

ونقول:

إنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو من التعريض المهذب، والمحدود، فماذا سيكون موقفه ممن يرمي أبا طالب عليه السلام بالشرك والكفر، ويعتبره مستحقاً للعذاب الأليم في نار الله المؤصدة؟! وفي ضحضاح من نار يغلي منه دماغه؟!

فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام، الذي لا سبب له إلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!

وما لأحد عنده من نعمة تجزى:

ثم إننا نجد النبي صلى الله عليه وآله نفسه يقول:

«اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة» [١].

كما أنه صلى الله عليه وآله قد رد هدية حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركاً، قال، عبيد الله:

حسبت أنه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن [٢].

---

[١] راجع ابوطالب مؤمن قريش للخنيزي .

[٢] مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ و تلخصيه للذهبي بهامش نفس الصفحة ، و صححاه . و حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عن كنز العمال و عن مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٧٨ و كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن احمد و الطبراني و الحاكم و سعيد بن منصور و التراتب الادارية ج ٢ ص ٨٦ و يلاحظ هنا : انه (صلى الله عليه و آله) حين الهجرة لايقبل ناقة أبي بكر الا بالثمن .

ورد أيضاً هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد أسلم بعد.

ورد أيضاً هدية ملاعب الأسنة، وقال: لا أقبل هدية مشرك [1].

عن عياض المجاشعي: أنه أهدى إلى النبي هدية فأبى قبولها، وقال: إني نهيت عن زبد المشركين [2].

ولم يكن ذلك منه صلى الله عليه وآله إلا لأن قبولها يوجب احتراماً ومودة من المهدى إليه بالنسبة لمن أهدى.

ملاحظة: معالجة رواية الكشي:

إلا أن الكشي ذكر رواية تقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرد هدية على يهودي ولا نصراني» [3].

---

[1] كنز العمال ج ٣ ص ١٧٧ طبعة اولى عن ابن عساكر ط ثانية ج ٦ ص ٥٧ عن الطبراني و المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و في الهامش عن مغازي ابن عقمة و مجمع البيان المجلد الاول ص ٥٣٥.

[2] كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و٥٩ عن ابي داود و الترمذي و صححه و احمد و الطيالسي و البيهقي و راجع ما عن عمران بن حصين في الكنز نفس المجلد و الصفحة والمصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٤٧ و في الهامش عن ابي داود و احمد و عن الترمذي ج ٢ ص ٣٨٩ و راجع الوسائل ج ١٢ ص ٢١٦ عن الكافي و المعجم الصغير ج ١ ص ٩.

[3] اختيار معرفة الرجال للكشي ط جامعة طهران ص ٦١٠ و البحار ج ٥٠ ص ١٠٧ و الوسائل ج ١٢ ص ٢١٧.

وهذا إن صح فهو يشير إلى الفرق بين هدية الكتابي وهدية المشرك، فكان صلى الله عليه وآله يرد هدية الثاني، دون الأول، وذلك يدل على عدم صحة قوله لهم: إنه صلى الله عليه وآله في هدنة الحديبية قد استهدى أبا سفيان أدماً [١].

[١] راجع التراتيب الادارية ج ١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب .

الفصل الخامس

أبو طالب عليه السلام

المظلوم المفترى عليه

الأدلة الواهية:

لقد حاول الذين يشتهون إثبات كفر أبي طالب عليه السلام أن يتشبثوا بطحالب واهية زعموا: أنها أدلة، نشير ههنا إليها، فنقول:

١ ـ حديث الضحضاح:

عن أبي سعيد الخدري، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله، وقد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه.

وحسب نص آخر: أن العباس قال للنبي صلى الله عليه وآله: ما أغنيت عن عمك؟!، فوالله، كان يحوطك ويغضب لك!!.

قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار [١].

---

[١] صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ٢٠٩ ، و ج ٤ ص ٥٤ ، و المصنف ج ٦ ص ٤١ ، و انساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٩و٣٠ و صحيح مسلم كتاب الايمان و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩ و مسند احمد ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٠٧ و البداية و النهاية ج ٣ ص ١٢٥ الغدير ج ٨ ص ٢٣ عن بعضهم و عن عيون الاثر ج ١ ص ١٣٢ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٦ .

ونقول:

أولاً: لقد ناقش كل من الأميني والخنيزي جميع أسانيد هذه الرواية، وبيَّنا وهنها وضعفها، وتناقض نصوصها العجيب. إلى حد أن بعض الروايات تجزم بأنه قد جعل في ضحضاح من نار، وأن الشفاعة قد نفعته فعلاً..

لكن بعضها الآخر يقول: لعله تنفعه شفاعتي، فيجعل في ضحضاح يوم القيامة..

ونحن نحيل القارئ الذي يرغب في التوسع إلى ما ذكره الأميني والخنيزي في كتابيهما حول هذا الموضوع [1].

ثانياً: إنه إذا كان صلى الله عليه وآله قد نفع أبا طالب عليه السلام، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتمم معروفه هذا، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضاً؟!.

ثالثاً: لقد رووا: أن النبي صلى الله عليه وآله قد طلب من أبي طالب حين حضرته الوفاة: أن يقول كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها.

فهذا يدل على أنه قد أناط صلى الله عليه وآله مطلق الشفاعة بكلمة لا إله إلا الله [2].

---

[1] راجع الغدير ج ٨ ص ٢٤/٢٣ و ابوطالب مؤمن قريش .

[2] الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٤٣٣ عن احمد بسندين صحيحين و عن البزار و الطبري باسانيد احدها جيد وابن حبان في صحيحه و راجع الغدير ج ٢/٢٥ .

فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمة التي توجب حليتها؟!.

رابعاً: إنهم يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك. فلماذا حلت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجته من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؟ [1]

خامساً: قال المعتزلي: إن الإمامية والزيدية «قالوا: وأما حديث الضحضاح، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلي عليه السلام بالخصوص مشهور ومعلوم، وقصته وفسقه غير خاف [2].

غير أننا نقول: إنه يمكن المناقشة في ذلك بأنهم قد رووا ذلك عن غير المغيرة أيضاً، فراجع البخاري وغيره.

فلعل رواية غير المغيرة قد حدثت في وقت متأخر بهدف تكذيب الشيعة، ونقض استدلالهم، فتلقفها البخاري.

وذلك لأن من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع..

---

[1] مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٣٦ ـ و تلخيصه للذهبي و صححاه و المواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ و الغدير ج ٨ ص ٢٤ عنهما و عن كنز العمال ج ٧ ص ١٢٨ و شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٩١ و كشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٢٤ ، و تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠ .

[2] راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠ و البحار ج ٣٥ ص ١١٢ .

وقد سكت المعتزلي عن هذا الرد، وعن جوابه، وكأنه يحتمل ما احتملناه، ولو وسعه التأكيد على الرد لفعل.

سادساً: سئل الإمام الباقر عليه السلام عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار؟

فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه.

ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم [١].

سابعاً: سئل الإمام علي عليه السلام في رحبة الكوفة عن كون أبيه معذباً في النار أو لا، فقال للسائل:

مه، فض الله فاك!!، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم. أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟! [٢].

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ ، والدرجات الرفيعة ص ٤٩ ، و البحار ج ٣٥ ص ١١٢ و الغدير ج ٨ ص ٣٨٠-٣٩٠ عنهما و عن كتاب الحجة لابن معد ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق ، الفتوني في ضياء العالمين .

[٢] البحار ج ٢٥ ص ٦٩ و ج ٣٥ ص ١١٠ و الاحتجاج ج ١ ص ٣٤١ ط مطبعة النعمان و كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ ط حجرية و كشف الغمة للاربلي ج ٢ ص ٤٢ ط دار الاضواء و الغدير ج ٧ ص ٣٨٧.

ثامناً: روى عبد العظيم بن عبد الله العلوي: أنه كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرفني يا بن رسول الله، عن الخبر المروي: أن أبا طالب في ضحضاح من نار، يغلي منه دماغه.

فكتب إليه الرضا عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار [١].

تاسعاً: بالإسناد إلى الكراجكي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟!

قلت: جعلت فداك، يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجليه نعلان من نار، تغلي منها أم رأسه.

فقال عليه السلام: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً [٢].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: كذبوا. والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم [١].

---

[١] البحار ج ٣٥ ص ١١١ و ايمان ابي طالب للمفيد ص ٤ وسفينة البحار ج ٥ ص ٣١٥ و مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٤٤٧ و ٥٥٨ و راجع الغدير ج ٧ ص ٣٩٥.

[٢] البحار ج ٣٥ ص ١١١ و كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ و الغدير ج ٧ ص ٣٩٣.

٢ ـ إرث عقيل لأبي طالب عليه السلام:

واستدلوا: بأن ولده عقيل هو الذي ورثه، ولم يرثه الإمام علي وجعفر عليهما السلام، لأنه كان مشركاً، وهما مسلمان.

فهما من ملتين مختلفتين، وأهل ملتين لا يتوارثان [2].

ولكن ذلك لا يصح أيضاً.

فأولاً: من أين ثبت لهؤلاء: أن الإمام علياً وجعفراً عليهما السلام لم يرثاه.

وثانياً: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعى الطرفين، كالتضارب، فإنه لا يكون إلا من اثنين، ولأجل ذلك نقول: إن الصحيح هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، من أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم [3] فالإرث إذن من طرف واحد، لا من طرفين!.

وثالثاً: لقد روي عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا» [4].

وقد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛

---

[1] البحار ج ٣٥ ص ١١٢ و ايمان ابي طالب للمفيد ص ٤ و مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٦٩ و مدينة المعاجز ج ٧ ص ٥٣٥ و الغدير ج ٧ ص ٣٩٠ و سفينة البحار ج ٥ ص ٣١٦.

[2] المصنف ج ٦ ص ١٥ و ج ١٠ ص ٣٤٤، و في هامشه اي هامش السادس عن البخاري ج ٣ ص ٢٩٣ و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩.

[3] راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

[4] مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ٣٣٩ و ج ٦ ص ١٠٦.

وقالوا: نرثهم ولا يرثونا [١].

ورابعاً: إنهم يقولون: إن الميراث في وقت موت أبي طالب لم يكن قد فرض بعد، وإنما كان الأمر بالوصية؛ فلعل أبا طالب قد أوصى بماله لعقيل محبة له، أو لما يراه من فقره وخصاصته، فأنفذ أولاده وصيته.

أو أن علياً وجعفراً قد تركا لأخيهما نصيبهما من الإرث على سبيل الإيثار له، لما يرونه من حاجته، وضيق ذات يده.

بل قد يكون أبو طالب قد تنازل عن ماله لعقيل في حال حياته، فلم يبق شيء لكي يرثه علي وجعفر بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [٢].

٣ ـ آية: ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾:

لقد ذكروا: أن آية: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾.. قد نزلت في أبي طالب عليه السلام، الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، وينأى عن أن يدخل في الإسلام [٣].

---

[١] المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ١٠٦،١٠٥و ١٠٧ و ج ١٠ ص ٣٣٨ حتى ص ٣٤١.

[٢] راجع اسنى المطالب ص ٦٢.

[٣] الاصابة ج ٤ ص ١١٥ و تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٢٧، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٨ و بهجة المحافل ج ١ ص ١١٦، و انساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٦ و الغدير ج ٨ ص ٣ عنهم وعن تفسير الحازن ج ٢ ص ١١ و تفسير ابن جزي ج ٢ ص ٦ و عن الطبري و الكشاف و دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١.

ونقول:

أولاً: لقد تحدث الأستاذ الخنيزي حول أسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية [١] فليراجعه من أراد.

ثانياً: إن هذه الآية لا تنطبق على أبى طالب عليه السلام بأي وجه؛ لأن الله تعالى يقول قبلها:

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأولينَ، وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [٢]

فضمائر الجمع، وهى كلمة: «هم»، وفاعل «ينهون» و«ينأون» ترجع كلها إلى من ذكرهم الله فى تلك الآية، وهم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول فى هذه الآيات، ويصفونها من عنادهم بأنها أساطير الأولين.

ولا يقف عنادهم عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبى محمد صلى الله عليه وآله، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه.

وهذه الصفات كلها لا تنطبق على أبى طالب عليه السلام، الذي لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبى صلى الله عليه وآله، والنصرة له

---

[١] ابوطالب مؤمن قريش ص ٣٠٦/٣٠٥

[٢] الايتان ٢٥و٢٦ من سورة الانعام .

باليد واللسان.

وقد حض أشخاصاً بأعيانهم على أن يدخلوا فى هذا الدين. وأن يصبروا عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، وحمزة، وجعفر، وعلى، وملك الحبشة، حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، وأن معناها: ينهون عن استماع القرآن، واتباع الرسول، ويتباعدون عنه.

وهذا هو المروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبى معاذ، والضحاك، وابن الحنفية، والسدي، ومجاهد، والجبائى، وابن جبير [1].

ثالثاً: ويقول الأمينى رحمه الله: إن هذه الرواية تقول: إن آية سورة الأنعام: وهى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ..﴾.. قد نزلت حين وفاة أبى طالب عليه السلام.

مع أن ثمة رواية أخرى تقول: إن آية سورة القصص، وهى قوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ..﴾.. [2] قد نزلت حين وفاته أيضاً.

مع أن سورة القصص قد نزلت قبل الأنعام ـ التي نزلت جملة

---

[1] راجع مجمع البيان ج ٣ ص ٢٧٨ و تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٢٧ و الغدير ج ٨ ص ٣ ، والدر المنثور ج ٣ ص ٨ و ٩ كلهم كلا او بعضا عن القرطبي و الطبري و ان المنذور وابن ابي حاتم ، وابن أبي شبية و ابن مردوديه و عبد بن حميد ، والجامع لاحكام القران للقرطبي ج ٦ ص ٤٠٦ .

[2] الاية ٥٦ من سورة القصص .

واحدة ـ [1]بخمس سور.

وهذا يدل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بمدة، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاة أبي طالب عليه السلام أعني السنة العاشرة من البعثة!!

بل إن البعض قد ذكر: أن سورة القصص هي من آخر ما نزل من القرآن في المدينة ولعله استند في ذلك إلى بعض ما ورد في شأن نزول بعض آياتها) فإذا تم هذا، فإن نزولها في أبي طالب عليه السلام يصبح غير مقبول أيضاً، لأن أبا طالب عليه السلام مات في عنفوان الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله في مكة [2].

رابعاً: إنهم يقولون: إن سورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة وكانت أسماء بنت يزيد الأنصارية ممسكة بزمام ناقته صلى الله عليه وآله [3]

---

[1] الدر المنثور ج ٢ ص ٣ و فتح القدير ج ٣ ص ٩/٩٢١ و تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٢٢ و الغدير ج ٨ ص ٥ عنهم و عن تفسير الجامع لاحكام القران للقرطبي ج ٦ ص ٣٨٣/٣٢٨ كلهم عن ابي عبيد و ابن المنذر والطبراني و ابن مردويه والنحاس .

[2] راجع البحار ج ٣٥ ص ١٥٢ .

[3] الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني و ابن مردويه . و قد ذكر في الدر المنثور ج ٣ ص ٢ و ٣ نزولها جملة واحدة في مكة او باستثناء اية او ايتين ليست الاية المذكورة واحدة منها و قد قال ان ذلك رواه عشرات الحفاظ مثل البيهقي في شعب الايمان و الخطيب في تاريخه و ابي الشيخ و ابن المنذر والنحاس في ناسخه وعبدالرزاق و الفريابي و عبد بن حميد و اسحاق بن راهويه و الكلبي وابي عبيد و الطبراني و ابن الضريس و ابن مردويه و السلفي في الطيورات والاسماعيلي و الحاكم و صححه و راجع الاتقان ج ١ ص ٣٧ و السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٠ .

وذلك إنما كان بعد بيعة العقبة، التي كانت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام، بمدة طويلة.

٤ ـ آية النهي عن الاستغفار للمشرك:

روى البخاري ومسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن أبيه، ما ملخصه: أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله طلب من أبي طالب عليه السلام حين وفاته أن يقول كلمة: لا إله إلا الله، ليحاج بها له عند الله.

فقال له أبو جهل، وعبد الله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

فلم يزل الرسول يعرضها عليه، ويقولان له ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.

فأنزل الله: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** [١].

[١] الاية ١١٣ من سورة التوبة .

ونقول:

إننا لا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية [١] لمقطوعة، ولا أن نفيض في إيراد الدلائل والشواهد على أن ابن المسيب، فضلاً عن غيره، متهم في ما يرويه، مما له ارتباط بالإمام علي عليه السلام، كما نص عليه البعض [٢].

ولكننا نشير فقط إلى ما يلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشرك قد وردت في سورة التوبة، ولا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله في المدينة، بل لقد ادَّعى البعض أنها آخر ما نزل [٣].

ولا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات معلقة فى الهواء، والقرآن ينزل، حتى إذا نزلت سورة التوبة، أضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تلحق بالسور ـ لو صح أنها كانت تلحق بها بعد أن لم تكن منها ـ فإنما تلحق بما نزل سابقاً عليها، وكان ذلك في الأكثر في

---

[١] راجع في ذلك ابو طالب مؤمن قريش ٣١٣-٣٤٦ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦ دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

[٢] الغارات للثقفي ج ٢ ص ٥٦٩.

[٣] الغدير ج ٨ ص ١٠ و ابوطالب مؤمن قريش ص ٣٤١ عن البخاري و الكشاف و البيضاوي و تفسير ابن كثير و الاتقان و ابن ابي شيبة والنسائي و ابن الضرير و ابن المنذر و النحاس و ابي الشيخ و ابن مردويه .

السور الطوال، التي كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التي كانت تنزل دفعة واحدة.

فلابد إذن من أن نقول: إن النهي عن الاستغفار إنما حصل بعد نزول سورة التوبة، فكيف بقي صلى الله عليه وآله يستغفر لأبي طالب عليه السلام طيلة هذه المدة، ويترحم عليه؟!

ثانياً: إن الاستغفار للمشرك، والترحم عليه من أظهر مصاديق المودة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة، كما في قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [١]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا﴾ [٣]

---

[١] الاية ٢٢ من سورة المجادلة و قد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الاتقان ج ١ ص ١١ و في تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩ و فتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ والغدير ج ٨ ص ١٠ عنهم وعن تفسير الالوسي ج ٣٧/٢٨ و اخرجه ابن ابي حاتم و الطبراني و الحاكم و البيهقي و ابو نعيم : انها نزلت في بدر او في احد .

[٢] الاية ١٤٤ من سورة النساء .

[٣] الاية ١٣٩ من سورة النساء .

وقوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١] إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثالثاً: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوة بني المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، ونزلت قبل سورة التوبة على كل حال: ﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٢]

فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف أن الله لن يغفر للمنافق سواء استغفر لهم أم لا.. والمنافق هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، فإنه يعرف أيضاً: أن الله لا يغفر لمن كان يبطن الشرك، ويظهره، ويأبى عن أن يعترف بإسلام أو بإيمان.. فلماذا يتعب نفسه في أمر يعرف أنه لا نتيجة له؟؛ فإن ذلك أمر لا يقره العقلاء، ولا يقدمون عليه.

رابعاً: ذكر الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموضح، بأسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه، ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي وجعفر [٣] وحمزة جلوس، فقاموا، وشيعوا جنازته، واستغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ـ ظناً منهم أن أبا طالب مات مشركاً؛ لأنه كان يكتم إيمانه ـ فنفى الله عن أبي طالب

---

[١] الاية ٢٨ من سورة آل عمران.

[٢] الاية ٦ من سورة المنافقون.

[٣] لقد كان جعفر بالحبشة فإما ان يكون قد جاء في زيارة قصيرة ثم رجع و اما ان يكون الراوي قد ذكره من عند نفسه سهوا او عمدا.

الشرك، ونزه نبيه، والثلاثة المذكورين رحمهم الله عن الخطأ في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى﴾ [١].

فمن قال بكفر أبي طالب عليه السلام، فقد حكم على النبي بالخطأ، والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وأفعاله الخ.. [٢].

خامساً: لقد روي بسند صحيح ـ كما يقول الأميني ـ عن علي: أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه، وهما مشركان؛ فذكر الإمام علي عليه السلام ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، فنزلت آية النهي عن الاستغفار للمشركين [٣].

---

[١] الاية ١١٣ من سورة التوبة .

[٢] الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجة لابن معد ص ٦٨ .

[٣] الغدير ج ٨ ص ١٢ و غيره عن الطيالسي و ابن ابي شبية و احمد و الترمذي و النسائي و ابي يعلى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم و ابي الشيخ و ابن مردويه و الحاكم و صححه و البيهقي في شعب الايمان و الضياء في المختارة و الاتقان و اسباب النزول و تفسير ابن كثير و الكشاف و اعيان الشيعة و اسنى المطالب ص ١٨ وابوطالب مؤمن قريش و شيخ الابطح و مسند احمد ج ١ ص ١٣١/١٣٠ .

وفي أخرى: أن المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت [1].

في رواية: أنها نزلت حينما استأذن صلى الله عليه وآله الله في الاستغفار لأمه فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها، فأذن له [2].

وعلى هذا فإن الجزم بأن الآية المذكورة قد نزلت في أبي طالب، يصبح في غير محله، خصوصاً إذا أضيف إليه ما قدمناه من شواهد وأدلة على إيمان شيخ الأبطح، وأضيف إليه أيضاً أن الآية بصدد نهي طائفة من المؤمنين الاستغفار لأقاربهم من أهل الشرك، ويكون ذكر النبي صلى الله عليه وآله في جملتهم من أجل طمأنتهم، وتأنيسهم، والرفق بهم، والمداراة لهم، لا لأنه صلى الله عليه وآله كان يفعل كفعلهم، فإن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ليقدم على أمر حتى يعرف رضا الله به، ويستأذنه سبحانه وتعالى فيه.

---

[1] مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن و تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣ و ابوطالب مؤمن قريش ص ٣٤٨ عنهما و عن الاعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن و الكشاف ج ٢ ص ٢٤٩ .

[2] جامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣١ و الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣ و ارشاد الساري ج ٧ ص ٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم في صحيحه و تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ و احمد في مسنده و ابو داود في سننه و النسائي و ابن ماجة و الحاكم و البيهقي وابن ابي حاتم و الطبراني و ابن مردويه و الكشاف ج ٢ ص ٤٩ و ابو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٩ .

ملاحظة:

قد أثبتنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إيمان آبائه صلى الله عليه وآله إلى آدم وكانت أمه صلى الله عليه وآله موحدة، بل إن الروايات التي تحدثت عن أنه لا يريد أن تكون لكافر أو مشرك عنده نعمة تجزى تدل على ذلك أيضاً.

فإن التربية للنبي صلى الله عليه وآله من النعم، والأيادي عنده، والتي تستوجب منه الشكر والجزاء.

وهذا ما يجعلنا نعتقد: أن الرواية الأخيرة التي ذكرت كفر والدة النبي صلى الله عليه وآله بعيدة عن الصحة أيضاً.

سادساً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشركين، قد جاءت عامة ولا يظهر منها: أنها تتحدث عن أمر قد حصل أصلاً، ولو سلمنا: أنها تشير إلى واقعة من نوع ما، فلا يمكن أن تكون هي استغفار النبي صلى الله عليه وآله لأمه، لأنه صلى الله عليه وآله لا يفعل إلا ما يعلم أنه مرضي لله تعالى، ولا يقدم على أي فعل من تلقاء نفسه.

على أنه لابد من الإجابة على السؤال عن السبب الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله ينسى الاستغفار لأمه إلى آخر أيام حياته؟

سابعاً: إن قول أبي طالب: بل على دين عبد المطلب، هو من أدلة إيمانه، لا من أدلة كفره؛ إذ إن عبد المطلب لم يكن كافراً ولا مشركاً، بل كان مؤمناً على دين الحنيفية.

وقد صرح المسعودي فى بعض كتبه أيضاً بأنه قد مات مسلماً [1]

فقول أبى طالب عليه السلام: بل على ملة عبد المطلب، قد جاء على سبيل التورية، حيث إنه بذلك يكون قد أثبت إيمانه، وأقر به من جهة. ثم يكون قد عميّ الأمر على فراعنة قريش، لمصالح يراها، لا بد له من ملاحظتها في تلك الفترة، من جهة أخرى.

٥ ـ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾:

ويقولون: إن الله تعالى قد أنزل فى أبى طالب عليه السلام: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾** [2]حيث ادَّعى الزجاج إجماع المسلمين على نزول هذه الآية فى أبى طالب عليه السلام [3].

ونقول في الجواب:

أولاً: قد تقدم: النهى عن موادة من حاد الله، وعن اتخاذ الكافرين أولياء.

ثانياً: قد تقدم: أن النبى صلى الله عليه وآله دعا الله، وتعامل مع الناس كلهم على قاعدة: أن لا يجعل لكافر ولا لمشرك نعمة عنده.

ثالثاً: إن آية: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**، يقال: إنها نزلت يوم

---

[1] الروض الانف ج ٢ ص ١٧١/١٧٠.

[2] الاية ٥٦ من سورة القصص و الرواية في صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١١١، وغير ذلك.

[3] راجع شيخ الابطح ص ٨٢.

أحد، حينما كسرت رباعيته، وشج وجهه صلى الله عليه وآله، فقال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.. إلخ [١]

وقيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان الرسول صلى الله عليه وآله يرغب في إسلامه، بل لقد ادعي الإجماع على ذلك [٢].

رابعاً: إذا كان النبي صلى الله عليه وآله يحب إيمان أبي طالب عليه السلام، فالله يحب ذلك أيضاً، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب الله.

وقولهم: كان صلى الله عليه وآله يكره إيمان وحشي، ثم آمن، لا يصح، لأنهما لو لم يتوافقا فإنه يدخل في دائرة التضاد بين الرسول وبين مرسله، لأن الرسول صلى الله عليه وآله يكره إيمان شخص ومرسله يحب إيمان ذلك الشخص نفسه.. وإذا توافقا، بأن كان الله ورسوله يكرهان إيمان ذلك الشخص، فإن السؤال هو: كيف يمكن أن يكره الله

---

[١] راجع التراتيب الادارية ج ١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب و ابوطالب مؤمن قريش ص ٣٦٨ عن اعيان الشيعة ج ٣٩ ص ٢٥٩ و لربما ياتي بعض مصادر ذلك في وقعة احد .

[٢] ابو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٩ و شيخ الابطح ص ٨٢ عن اسباب النزول لابن رشادة الواعظي الواسطي و راجع البحار ج ٣٥ ص ١٥١ و فيه الحارث بن نعمان بن عبد مناف .

ورسوله إيمان أحد [١].

خامساً: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا يمنع من إيمان أبي طالب عليه السلام، فإن الله قد شاء الهداية لأبي طالب عليه السلام أيضاً كما دلت عليه النصوص.

والآية إنما تريد تعليم النبي صلى الله عليه وآله: أن محبته لهداية شخص غير كافية. بل لا بد معها من مشيئة الله سبحانه.

وأما دعوى إجماع المسلمين على نزول هذه الآية في أبي طالب عليه السلام، فيكذبها: أن الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، وأكثر الزيدية، وكثير من علماء السنة يثبتون إيمان أبي طالب عليه السلام، وتآليفهم في هذا الصدد كثيرة وشهيرة..

٦ ـ ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾:

زعموا: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [٢]قد نزلت في أبي طالب عليه السلام..

ونقول:

إن سياق الآيات قبلها وبعدها يعطي أن الآية إنما نزلت في اليهود.. وهذا كاف في رد هذه المزعمة.

---

[١] راجع هامش انساب الاشراف ج ٢ ص ٢٨ عن الدكتور زرزور في مقدمته على تفسير الحاكم الجشمي.

[٢] الاية ١١٩ من سورة البقرة.

وقد قال النقدي في كتابه مواهب الواهب في فضائل أبي طالب: وأما ما قيل من أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ نزلت في أبي طالب فقد قال ابن دحلان: هو ضعيف جداً كالقول بأنها نزلت في أبوي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فإن ذلك ضعيف أيضاً. بل قيل: إن ذلك باطل لا أصل له والآية إنما نزلت في اليهود.

قال أبو حيان في البحر: وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك.. الخ [١]

٧ ـ الذي ينجي من الوسوسة:

زعموا: أن الرسول صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر، حول ما ينجي من الوسوسة: «ينجيكم من ذلك : أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت؛ فلم يفعل.

يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» [٢].

في رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة إلخ [١].

---

[١] مواهب الواهب في فضائل ابي طالب للنقدي ص ١٣٠ ط حجرية النجف الاشرف سنة ١٣٤١ هـ.

[٢] حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤٥/١٤٠ و كنزالعمال ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠-٢٦١ عن ابي يعلى و البوصيري في زوائده و عن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٢.

ونقول:

إنه فضلاً عن سقوط الرواية من ناحية السند. نلاحظ:

أولاً: إن من الواضح: أن الذين يسألونه صلى الله عليه وآله عما ينجي من الوسوسة كانوا يقولون تلك الكلمة، ويشهدون الشهادتين، ولكنهم كانوا ـ مع ذلك ـ مبتلين بالوسوسة، فكيف يأمرهم صلى الله عليه وآله بقولها للنجاة من ذلك؟!.

إلا أن يقال: إن المراد هو: كثرة التلفظ بها وتكرارها.

غير أننا نقول: إن إرادة هذا المعنى بعيدة عن مساق الرواية، فإن ما طلبه من أبي طالب ـ لو صحت الرواية ـ هو مجرد التلفظ بالشهادتين..

ثانياً: إن نفس هذه الرواية مروية بسند صحيح، وتفيد: أن الخلاف كان بين سعد وعثمان، وأن الذي حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، وذكر: دعوة ذي النون: ﴿لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ولم يذكر أبا طالب عليه السلام [2].

أبو بكر حين أسلم أبوه:

وزعموا أيضاً: أنه لما مد أبو قحافة يده ليسلم، بكى أبو بكر، فقال له صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟!

---

[1] مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥ ، و كنز العمال ج ١ ص ٢٦٢ و ٦٣ عن ابي يعلى و ابن خزيمة و ابن حبان و البيهقي و غيرهم كثير جدا .

[2] مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٨ عن احمد و رجاله رجال الصحيح ، باستثناء ابراهيم بن محمد بن سعد و هو ثقة و حياة الصحابة عنه و عن الترمذي و عن كنز العمال ج ١ ص ٢٩٨ عن ابي يعلي و البطراني و صحح .

قال: لأن تكون يد عمك مكان يده، ويسلم، ويقر الله به عينك أحب إلي من أن يكون [1].

ونقول:

أولاً: قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على إيمان أبى طالب عليه السلام عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

وتلك الرواية هى التى تنسجم مع هذا الحشد الهائل من دلائل إيمانه صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: قد جاء أنه لما أسلم أبو قحافة لم يعلم أبو بكر بإسلامه، حتى بشره النبى صلى الله عليه وآله بذلك [2]فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مد أبو قحافة يده؟!.

ابو طالب عليه السلام الشيخ المهتدي:

وزعموا أيضاً: أنه لما توفى أبو طالب، جاء على عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي.

بل فى رواية: أن الإمام علياً عليه السلام رفض ما أمره به النبى

---

[1] الاصابة ج ٤ ص ١١٦ و الحاكم و صححه على شرط الشيخين ، و عن عمر بن شبة و ابي يعلى و ابي بشر سفويه في فوائده و نصب الراية ج ٦ ص ٢٨٢/٢٨١ عن عدد من المصادر في هامشه ، والمنصف ج ٦ ص ٣٩ و في هامشه عن ابن ابي شيبة ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ و مسند احمد ج ١ ص ١٣١ .

[2] المحاسن و المساوئ ج ١ ص ٥٧ .

صلى الله عليه وآله من تغسيله، ودفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره [1].

ونقول:

أولاً: قد روى أحمد في مسنده هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ قد توفي، من دون ذكر كلمة «الضال» [2].

ثانياً: إن نفس أن يخاطب علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الطريقة: «إن عمك الشيخ الضال.. الخ..» لهو أمر لا ينسجم مع أدب الخطاب مع الرسول، في الوقت الذي كان يمكن له يقول: إن أبي الشيخ الضال قد توفي. ولا يمكن أن يحتمل أحد أن يصدر من علي عليه السلام ما ينافي الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وآله أو مع غيره.

ثالثاً: لو لم يكن مؤمناً فلماذا يأمره بتغسيله؟. فهل يغسل الكافر؟!

رابعاً: كيف يتناسب هذا مع كونه صلى الله عليه وآله قد حزن، وترحم عليه، ودعا له، وعارض جنازته، ومشى فيها، وغير ذلك مما تقدم، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشي في جنازة المشرك؟! [3]

---

[1] المصنف ج ٦ ص ٣٩ و راجع كنز العمال ج ١٧ ص ٣٢ و ٣٣ و نصب الراية ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢ و في هامشه عن عدد من المصادر.

[2] مسند الامام احمد ج ١ ص ١٣٠/١٢٩ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤ و فيه أنه امره هو فواراه.

[3] قد تقدمت بعض مصادر ذلك في اوائل هذا البحث و عن عدم جواز المشي في جنازة المشرك راجع كتب الحديث كسنن البيهقي و غيره.

خامساً: ماذا يصنع هؤلاء بما ورد فى كثير من المصادر، من أن الإمام علياً عليه السلام هو الذي تولى تغسيل أبى طالب ودفنه، واغتسل بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب على من مس أي ميت مسلم [١].

هل صلى أبو طالب عليه السلام :

قالوا: إنه لم ينقل عن أحد: أن أبا طالب عليه السلام قد صلى، وبالصلاة يمتاز المؤمن عن الكافر [٢].

ونقول في الجواب:

أولاً: إنه لم ينقل أيضاً عن كثير من الصحابة أنهم قد صلوا..

فهل يمكن الحكم عليهم بأنهم لم يسلموا؟! فإن عدم نقل ذلك لا يعني عدم حدوثه.

ثانياً: إنه إذا كان مثل أبى طالب عليه السلام كمثل مؤمن آل فرعون، الذي كان يكتم إيمانه، فعلينا أن لا نتوقع مجاهرة أبى طالب عليه السلام بالصلاة، أو بغيرها من الشعائر الدينية أمام الملأ، فإن ذلك لا يتلاءم مع كتمان الإيمان.

أبو طالب عليه السلام خير الأخيار:

وزعموا: أن محمد بن عبد الله بن الحسن، قد كتب إلى المنصور يقول مفتخراً: أنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار.

---

[١] تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١.

[٢] راجع : شيخ الابطح .

وهذه الرسالة هى التى أوجبت توقف ابن أبى الحديد المعتزلى فى إيمان أبى طالب عليه السلام، كما زعم فى شرحه لنهج البلاغة [١].

ونقول:

أولاً: إن أبا طالب عليه السلام لم يكن شر الأشرار، إذ إنه عليه السلام لم يكن أشر من أبى لهب ولا من أبى جهل، ولا من ابن ملجم، ولا من الشمر، ولا.. ولا..

فهذا كذب صريح، هل يمكن صدوره من مدَّعى المهدية.. الذي يطالب الناس بالبيعة له؟!

ثانياً: ما معنى أن يفتخر إنسان بأنه ابن شر الأشرار؟! فهل فى هذا مفخرة لأحد؟

ثالثاً: إنه ليس فى الرواية ما يدل على أن المقصود بهذا الكلام هو أبو طالب عليه السلام، إذ لعل المقصود به طلحة بن عبيد الله، الذي هو أبو أم إسحق، جدة محمد بن عبد الله بن الحسن، أو لعله يقصد زمعة بن الأسود، أو عبد العزى؟! أو غير هؤلاء من آبائه..

رابعاً: لماذا أخذ المعتزلى بشهادة محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي قتل فى أواسط القرن الثانى للهجرة، ولم يأخذ بشهادة الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام، فى حق أبيه، وهو القائل: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن أبي لو شفع في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله.

بالإضافة إلى كثير من النصوص الأخرى التي سلفت عنه عليه السلام في حقه.

---

[١] شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٢.

هذا فضلاً عن شهادات الإمام السجاد، والباقر، والصادق عليهم السلام.

ألم يكن عهد هؤلاء الأطهار عليهم السلام بأبي طالب عليه السلام أقرب من عهد محمد بن عبد الله بن الحسن؟!..

خطابيات وأرجاز المديني:

وبعد ما تقدم، فإنه إذا كان أبو طالب عليه السلام مسلماً مصدقاً؛ فلا يصغى لأرجاز وخطابيات أمثال المديني، التي لا توافق العقل والدين مهما حاول أن يتظاهر هو بالصلاح، أو أن يسطر التملقات الباردة، مثل أن يقول:

«وددت أن أبا طالب كان أسلم، فسر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وأني كافر» [١].

---

[١] عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦٣.

الفصل السادس

مؤمن آل فرعون

سرية إيمان أبي طالب عليه السلام :

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب عليه السلام فإننا نجد: أنه كان بادئ ذي بدء يكتم إيمانه، تماما كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من إظهار ذلك وإعلانه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين» [١].

وعن الشعبي، يرفعه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

كان والله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه؛ مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش.

---

[١] امالي الصدوق ص ٥٥١ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠، و اصول الكافي ج ١ ص ٣٧٣ و روضة الواعظين ص ١٣٩ و البحار ج ٣٥ ص ٧٢ و ١١١ و الغدير ج ٧ ص ٣٨٠-٣٩٠ عنهم و عن الحجة لابن معد ص ١٧ و ١١٥ و تفسير ابي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢ و الدرجات الرفيعة و ضياء العالمين .

وكذا عن ابن عباس [١].

وقد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل في حرب الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه [٢]

وثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها [٣]

لابد من كتمان الإيمان:

ونستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبي طالب عليه السلام كانت ضرورة لا بد منها؛ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية اجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفاً في النزاع.

فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها.

قال ابن كثير وغيره:

«إذ لو كان أسلم أبو طالب ـ ونحن نقول لابن كثير: إنه قد أسلم، ولكنه كتم إيمانه وإسلامه مدة؛ ـ لما كان له عند مشركي قريش وجاهة،

---

[١] الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ عن الكتاب الحجة ص ٢٤ و ٩٤ و ١١٥ و راجع امالي الصدوق ص ٥٥٠.

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

[٣] راجع الغدير ج ٧ ص ٣٣٨-٣٩٠ عن الفصول المختارة ص ٨٠ و اكمال الدين ص ١٠٣ و كتاب الحجة لابن معد عن ابي الفرج الاصفهاني.

ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولا اجترأوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه» [1]

مفارقات محيِّرة:

وكيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيد، ولورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة، ولأبي سفيان الذي ما فتئ كهفاً للمنافقين، والذي ذكرنا لمحة عن تصريحاته ومواقفه في أواخر غزوة أحد، في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

نعم، كيف يحكمون لهؤلاء بالإسلام؟! بل يروون عنه صلى الله عليه وآله: أنه قال عن أمية بن أبي الصلت: ﷺنه كاد أن يسلم في شعره [2]

ويقول الشافعي عن صفوان بن أمية: «وكان كأنه لا يشك في إسلامه»، لأنه حين سَمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقُتل محمد، قال له:

«بفيك الحجر، فوالله، لرب قريش أحب إلي من رب هوازن».

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالإسلام، أو بالاقتراب منه، وهم لم يدركوا الإسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر.

---

[1] البداية و النهاية ج ٣ ص ٤١ و راجع السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٦ .

[2] صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٨/٤٩ و الاغاني ط ساسي ج ٣ ص ١٩٠ و التراتيب الادارية ج ١ ص ٢١٣ .

ثم يحكمون بالكفر على أبي طالب عليه السلام، الذي ما فتئ يؤكد ويصرح عشرات المرات، في أقواله وفي أفعاله، ويعلن بالشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة؟!.

ذنب أبي طالب عليه السلام الذي لا يغفر:

ولكننا رغم كل ذلك نقول:

إنه يؤخذ على أبي طالب عليه السلام شيء واحد، هو من أكبر الذنوب، وأعظم السيِّئات والعيوب، التي يستحق من يتلبس بها ـ شاء أم أبى ـ الحساب العسير، ولابد أن يحرم لأجلها من كل امتياز، ويسلب منه كل وسام.

وهذا الذنب العظيم والجسيم هو أنه كان أباً لذلك الرجل الذي تكرهه قريش، ويبغضه الحكام، ويشنؤه أهل الباطل.. وكانوا وما زالوا يتمنون له كل سوء، وكل ما يسوء. وقد قطعوا رحمه، وجهدوا للحط من شأنه، وصغَّروا عظيم منزلته، لا لشيء، سوى أنه كان قد قتل آباءهم وإخوانهم على الشرك والكفر، وهو يدافع عن دين الله سبحانه، ويجاهد في سبيل الله، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا الرجل هو ـ بصراحة ـ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، وهو المسمى بـ «علي» أمير البررة، وقاتل الكفرة الفجرة، الذي كان مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، وكان الولي، والوصي صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبيه، وعلى الأئمة الأطهار من بنيه.

فكان لابد ـ بنظرهم ـ من نسبة كل عظيمة إليه، وإلى أبيه أبي طالب عليه السلام، ووضع الأحاديث المكذوبة في حقهما، وتزوير تاريخهما، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

فحفلت مجاميعهم الحديثية والتاريخية بألوان من الدجل والتزوير، وأفانين من الكذب والبهتان، والأفائك والأباطيل، حتى لقد نسبوا إلى أبي طالب عليه السلام الكفر ـ والعياذ بالله ـ ولو كان ثمة شيء أعظم من الكفر لنسبوه إليه، ووصموه به، كيداً منهم لعلي، وسعياً منهم للنيل من مقامه، وهو الذي كان ولا يزال الشوكة الجارحة في أعين الأمويين، والزبيريين، وجميع الحاقدين على الحق وأهله، فظهرت منهم أنواع من الافتراءات عليه، وعلى أخيه جعفر، وأبيه أبي طالب، وعلى كل شيعتهم ومحبيهم، والمدافعين عنهم.

وحين بدا لهم أن ذلك لا يشفي صدورهم شفعوه بنوع آخر من الكيد والتجني، حين سعوا إلى إطراء أعدائه، أعداء الله ورسوله، وأعداء الحق، فنسبوا فضائل أولياء الله إلى أعداء الله، حتى إنك لا تكاد تجد فضيلة ثبتت لعلي عليه السلام بسند صحيح عند مختلف الفرق الإسلامية، إلا ولها نظير في مخالفيه، ومناوئيه، والمعتدين عليه، ولكنها ـ في الأكثر ولله الحمد ـ قد جاءت بأسانيد ضعيفة وموهونة، حتى عند واضعيها..

هذا، ويلاحظ: أن هذه الأفائك الظالمة في حق أبي طالب عليه السلام قد ظهرت بعد عشرات السنين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي كان المدافع الأول عن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، كما يظهر

من كثير من المواقف له صلى الله عليه وآله، حدثنا عنها التاريخ، وحفظتها لنا كتب الحديث والرواية. رغم ما بذله الحاقدون من جهود لطمسها، وطمس سواها من الحقائق الناصعة، والشواهد والبراهين الساطعة.

ولو أن أبا طالب رحمه الله، كان أباً لمعاوية مثلاً، أو لمروان، أو لأي من الذين تصدوا للحكم من المناوئين والمنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، وعن خطهم ومنهجهم، لرأيت ثم رأيت من آيات الثناء عليه، ما يتلى آناء الليل، وأطراف النهار، ولوجدت الأوسمة تلاحقه، وتنهال عليه من كل حدب وصوب، وبلا كتاب ولا حساب. ولألفيت الذين ينبزونه بتلكم الأكاذيب والأباطيل، ويرمونه بالبهتان، هم أنفسهم حملة رايات التعظيم والتبجيل، والتكبير والتهليل له رحمه الله.

ولوجدت من الأحاديث في فضائله ومناقبه وما له من كرامات، وشفاعات إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حد الحصر، وما يزيد ويتضاعف باطراد في كل عصر ومصر..

ولربما تجد من يدَّعي: أن أبا طالب عليه السلام قد آمن بالنبي حتى قبل أن يبعث صلى الله عليه وآله ـ كما ادَّعوه لبعض من يوالونهم ويحبونهم!!

ولعل بعضهم يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيقول فيه، كما قالوه في بعض أسلافهم: لو لم أبعث فيكم لبعث فلان!! أو ما شاكل ذلك.

هذا إن لم يدَّعوا له مقام النبوة، أو ما هو أعظم من ذلك كما ادَّعوا ذلك ليزيد لعنه الله، قاتل الإمام الحسين عليه السلام، وهادم الكعبة..

ولكننا نقول: إن أبا طالب عليه السلام قد كان محظوظاً جداً، حيث لم يكن قريباً لهؤلاء، ولا لمن يتولاه هؤلاء، فنجا من أن تنسب إليه فضائل مكذوبة، ومن أن يعطى أوسمة لا حقيقة لها، إذ يكفى هذا الرجل من الفضائل والأوسمة ما كان قد ناله عن جدارة واستحقاق، بجهاده، وبإخلاصه، وبعمله الصالح الذي نال به رضا الله سبحانه. وذلك هو الفضل العظيم، والحظ الأسعد، والمقام الأمجد.

مفارقات.. ذات دلالة:

والغريب فى الأمر: أن من هؤلاء القوم، من يرى أن قاتل عمار بن ياسر من أهل الجنة، وأن ابن ملجم مجتهد فى قتله الإمام علياً عليه السلام، ثم هم يدافعون عن يزيد بن معاوية لعنه الله، ويعتبرونه من أهل الجنة، بل ادَّعى له بعضهم النبوة قبحهم الله وإياه. كما أن البعض كابن عربى يرى: أن فرعون مؤمن، وأن عبدة العجل موحدون مؤمنون، إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل، وأضاليل.

هذا عدا عن أنهم قالوا: إن حاتم الطائى يدخل النار لكنه لا يعذب بها لجوده، وأن كسرى لا يعذب لعدله، وأن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة:

قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار [١] إن أبا سفيان هذا،

---

[١] النزاع و التخاصم ص ٢٠ و الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج ٦ ص ٢٧٣.

مؤمن تقى عادل، معصوم، وأبو طالب عليه السلام ـ أو فقل: أبو الإمام على عليه السلام ـ كافر مشرك، وفى ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، ويغلى منه دماغه!!

نعم.. ما عشت أراك الدهر عجباً!!.

حال أبي طالب عليه السلام حال رسول الله صلى الله عليه وآله :

وبعد.. فإن حال أبى طالب عليه السلام مع الأمويين وأشياعهم، ومن افترى عليه بغضاً منه بولده على.. يشبه إلى حد كبير حال النبى صلى الله عليه وآله مع المشركين، الذين حكى القرآن حالهم بقوله:

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [١]

إن مبغضى أبى طالب يقولون: لن نقر بإيمان هذا الرجل، ولو تضافرت على ذلك كل الأدلة والشواهد، وحتى لو نص الله ورسوله عليه.

فبئس الخلف من الأمويين وأشياعهم، ومن الزبيريين وأتباعهم، ومن كل شانئ لعلى، ومصغر لشأنه، لِبئس السلف من طواغيت الجاهلية وعتاتها، ومن قتلة الأنبياء وفراعنة الأرض، وجبابرتها.

---

[١] الايات من ٩٠ الى ٩٣ من سورة الاسراء.

أبو لهب ونصرة النبي صلى الله عليه وآله :

ثم إننا نشير أيضاً هنا، إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفى أبو طالب عليه السلام أعلن أبو لهب استعداده لنصرة النبي صلى الله عليه وآله.

فاحتالت قريش، فأخبرته أنه يقول: إن أباك عبد المطلب فى النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، وانقلب ليكون عدواً له ما عاش [١].

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه القضية.

فأولاً: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عدائه للنبي، ومحاربته له: أن هذا هو رأيه صلى الله عليه وآله ورأي الإسلام فى كل من يموت مشركاً بالله تعالى؟! وعلى أي شيء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!.

بل إن أبا لهب كان من أهم الشخصيات القوية التى كانت تدير حركة الصراع ضد الإسلام العظيم، ونبيه الكريم، فكيف يمكن أن يجهل حملة لواء الشرك هذا الأمر، ويعرفه غيرهم؟!

[١] راجع على سبيل المثال : البداية و النهاية ج ٣ ص ١٣٤ عن ابي الجوزي و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٢.

وثانياً: لماذا عاداه في حياة أبي طالب عليه السلام، ثم عاد إلى حمايته ونصرته بعد وفاته؟!.

أو لماذا لم يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب عليه السلام؟!

وثالثاً: قد أسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركاً، بل كان على دين الحنيفية مؤمناً صادق الإيمان.

سر افتعال الرواية:

ولعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب عليه السلام للرسول قد كانت بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي.

ولكن أين كانت حمية وعصبية أبي لهب قبل هذا الوقت، وأين كان حبه الطبيعي لابن أخيه؟

ولا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين في الشعب، وكادوا يهلكون جوعاً؟!.

وأين ذهبت حميته بعد ذلك؟

وهو الذي كان يتتبع النبي محمداً صلى الله عليه وآله من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الفصل السابع

مع شيخ الأبطح في شعره

شعر أبي طالب عليه السلام :

ونختم حديثنا عن أبي طالب عليه السلام بمقاطع مما كنا قد كتبناه للتعريف، بديوان هذا الرجل المظلوم، المسمى بـ «الدرة الغراء في شعر سيد البطحاء» رأينا أنها ربما تكون مفيدة فيما نحن بصدد بيانه، حيث إننا بعد أن أشرنا إلى أن ثمة حساسية كبيرة لدى البعض تجاه الحديث حول هذا الرجل العظيم، ثم الحكم له أو عليه.

قلنا في تفسير هذه الحساسية ما يلي:

ترجع هذه الحساسية إلى مخلفات تاريخية، فرضتها عصبيات وأحقاد، وأهواء وميول، وتوجهات سياسية معينة، جعلت الكثيرين ينظرون إلى هذا الرجل الفذ، والمجاهد الصابر نظرة بغيضة، ومسمومة، وظالمة، من خلال الاستسلام لاتهامات زائفة، وجهت إليه رحمه الله، دون أن تملك المبررات الكافية والمعقولة في تاريخه عليه السلام، لا على أرض الواقع، من خلال السلوك والممارسة، ولا على مستوى الكلمة والشعار، في نطاق تسجيل الموقف.

فلا غرو ـ والحالة هذه ـ إذا قلنا: إننا حين نريد أن ننصف أبا طالب عليه السلام، وأي إنسان آخر، فإن علينا أن ندرسه من خلال حركته

وممارسته، واستناداً إلى مواقفه وشعاراته.

ومن هنا، فإنه يصبح من الضروري لنا: أن نستنطق تصريحاته، وأقواله، بما في ذلك أوامره ونواهيه، وتوجيهاته، وخطبه، وكذلك أشعاره التي أنشأها، مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الأجواء والمناخات التي انطلق فيها، وسجل موقفاً تجاهها، سواء في القبول والتأييد، أم في الرد والتفنيد.

ولكن من الواضح: أن ذلك يحتاج إلى توفر تام، وجهد مستقل، نتركه لأهل الاختصاص، مكتفين بإلقاء نظرة عابرة تمكننا من التقاط بعض الملامح والمميزات، وتقديمها إلى القارئ الكريم، على أمل أن يسهم ذلك في بعث الرغبة، وإثارة الحنين لدى من يمتلك المؤهلات للقيام بدراسة مستوعبة لحياة هذا الرجل العظيم، والفذ، والمظلوم.

الشعر بدايةً ومنطلقاً:

ثم إننا لا نجازف إذا قلنا: إن الشعر العربي ـ وربما شعر كل الأمم ـ لم يكن في بداياته، وفي انطلاقته الأولى عبر الزمن، شيئاً غريباً، أو دخيلاً على حياة البشر. ولا كان شيئاً غامضاً، أو معقداً، تعبت العقول في نحته وصناعته، أو في صياغة قوانينه وضوابطه.

كما أنه لم يكن مرحلة حضارية فرضت مستوى الإبداع فيها وسائل توفرت، وقدرات تكاملت وتعاضدت، وفقاً لمعادلات علمية، أو فنية، احتاجت الأمم إلى أن تقطع شوطاً كبيراً في مجالات التقدم العلمي، أو الفني، لتتمكن من تحريرها، وتقريرها.

وإنما الشعر ـ خصوصاً حين يكون في بدايات انطلاقته لدى أي كان ـ هو التعبير الفطري الصافي، والساذج، والبريء عن مشاعر وأحاسيس تراود هذا الإنسان في الحالات المختلفة. وهو الاستجابة العفوية والطبيعية لها.

ولأجل ذلك نجده يبتعد عن أي تكلف، أو تعسف، أو انحراف، أو نفاق، أو عدوانية.

وهذا ما يفسر لنا ظاهرة: أن الإنسان إذا تكاملت إدراكاته، ونمى إحساسه، وتفاعلت مشاعره بصورة طبيعية وسليمة، فإنه ينطق بالشعر بصورة تلقائية وعفوية. وإن كان ربما يحتاج إلى بعض التهذيب والتدريب، تماماً كما يحتاج الطفل إلى ذلك حينما يريد أن يمارس المشي أو الكلام.

ويصبح بعد هذا، من الوضوح بمكان سرُّ ما نراه من التأثير السريع والقوي للشعر على العقول والنفوس، ولن نفاجأ بما نراه عبر التاريخ من آثار عميقة له على الفكر والمشاعر، حتى لقد أصبح بسبب ذلك ـ بالنسبة إلى الإنسان العربي ـ هو الوسيلة الإعلامية الفضلى، خصوصاً مع ما له من وقع موسيقي آسر، ونغم أخاذ.

ومن يستطيع أن ينكر تأثير الشعر على مجمل حالات هذا الإنسان، وعلى حركته، وسلوكه، وعلى قراراته ومواقفه؟ وهو يرى كيف أنه عبر التاريخ قد استطاع أن يجعل من الجبان الخانع شجاعاً مقداماً، ومن المحزون المهموم مسروراً مستبشراً، ومن المتردد المتشائم متفائلاً وحازماً!!

وكيف يستغرب من الإنسان العربي: أن يهتم بالشعر، وأن يحفظه ويتناقله، وأن يدونه ويحتفظ به. هذا فضلاً عن أن يقيم له الندوات، والتجمعات، والمواسم، والمراسم في طول البلاد وعرضها؟!

ويصبح من الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن يتبوأ الشاعر مكانة مرموقة في مجتمعه ومحيطه، حتى ليصبح وجه القبيلة، ولسانها، وهاديها، ورائدها، مادام أن بيتاً من الشعر قد يكون سبباً في عز قبيلة بأسرها، أو في ذلها على مر الأيام.

كما أنه قد يتسبب في إثارة حرب، أو في إخمادها، وفي إفساد وزعزعة ملكٍ، أو تقوية وترسيخ دعائمه. وقد يوصل إنساناً ما إلى أوج العزة والكرامة، أو يلقي به مذؤوماً مدحوراً في بؤر الذل والمهانة. ثم إنه قد يمنحه النعيم المقيم والرخاء، أو يسلمه إلى براثن البلاء والشقاء.

هذا من ناحية.

ومن الناحية الأخرى، فقد يتمكن الشعر من قلب الحقائق وتشويهها، ومن الإخلال بالموازين الإنسانية والأخلاقية وتمويهها، ليصبح قادراً والحالة هذه على تبرير حالات الانهزام والتراجع، والسقوط والخنوع في كثير من الأحيان.

وهذا النموذج الأخير هو الشعر المأجور والزائف، الذي يتخذه الحكام وسيلة لمآربهم، والفاشلون الأغبياء ذريعة لتغطية فشلهم.

ولسنا بصدد الحديث عن هؤلاء الآن.

ديوان أبي طالب عليه السلام :

وإذ قد ذكرنا هذه اللمحة الخاطفة عن الشعر، ولاسيما العربى منه، فقد حان الوقت لنلقى نظرة على ديوان أبى طالب رحمه الله، الذي تجمعت فيه طائفة من شعر هذا الرجل المجاهد والصابر، لنجد: أن شعره رحمه الله، كما أنه قد جاء أقوى وأقطع من السيف، فإنه أيضاً قد جاء أصفى وأرق من النسيم، وأروع وأعذب من الحياة في جنات النعيم.

وكما هو شعر العقل والحكمة، والوجدان والضمير، فإنه أيضاً شعر العاطفة، والمشاعر الصادقة، ثم هو شعر النضال والجهاد، وشعر الكرامة والشهامة، سواء في ذلك جاهليّه وإسلاميّه.

وإنك لتلمس فيه بعمق كل خلوص وصفاء، وكل نبل وطهر، بكل ما لهذه الكلمات من عمق في المدلول، ومن أفق رحب في المدى الأرحب.

وعدا ذلك كله، فإنه كان شعر الموقف فى إطار المناسبة، كما كان شعر المناسبة فى نطاق ترسيخ الموقف، حيث كان الصخرة الصلبة، التى تحطمت عليها أطماع وأهواء الطواغيت والجبارين، كبروا، أو صغروا، مادام أن كثيراً من هؤلاء الصغار يحملون فى داخلهم روح العنجهية والطغيان، وجنون العظمة والجبروت.

وقد أعز الله بشعر أبى طالب عليه السلام دينه، وحمى به وليه، وأذل به الكفر والنفاق، وكبت به الكافرين والمنافقين.

لأنه فى نفس الوقت الذي كان فيه شعر التحمل والصبر فى مواجهة كافة الضغوط الخانقة، فقد كان شعر الصمود والتصدي لكل التحديات،

مهما كبرت، وللأعاصير الهوجاء مهما زمجرت وعصفت.

ثم كان شعر الفكر والوعى، والتوجيه والهداية، والدعوة الخالصة والمخلصة إلى الله سبحانه، وإلى دينه القويم، وصراطه المستقيم.

إلى جانب ذلك كله، نجد أنه الشعر السهل الممتنع، والبليغ والقوي، ليس فيه صلف، ولا سرف، ولا نكارة، ولا وحشية.

كما أنك لا تجد فيه أي نوع من أنواع المجون والتبذل، أو الاستجداء أو الاستخذاء، أو الانهزام والتنصل.

ولا تستطيع أن تلمح فيه أيضاً أي لون من ألوان التكلف، أو الركاكة، أو التعسف، فهو متماسك متناسق، فيه جزالة وصفاء، وصدق ووفاء، وبذل وعطاء، لا تشك فى أنه نابع من وجدان منصف، وضمير حى، ترفده مشاعر الطهر والصدق والإخلاص، ويفيض من معين البطولة والرجولة، والشهامة والتحدي.

نعم.. إنك تلمس كل ذلك بسهولة ويسر، فى شعر أبى طالب عليه السلام، مؤمن قريش، والرجل المظلوم، والمظلوم حقاً، الذي تصدى وتحدى الطواغيت والجبارين بإيمانه، وجاهد فى سبيل الله بنفسه، وولده، وبماله، وبيده ولسانه، فرغمت بجهاده هذا أنوف، وذلّت معاطس، ضج بها حسد بغيض، وحقد كامن، وجرح لا يداوى.

الرجل الفذ:

وخلاصة الأمر: أننا حينما نقرأ شعر أبى طالب عليه السلام، فإنما نقرأ فيه أبا طالب نفسه عليه السلام، ونتعرف على خصائصه وسجاياه،

وعلى همومه وقضاياه، وننطلق فى آفاقه الرحبة، لنتلمس فيها عمق إيمانه، وحرارة وصدق مشاعره، وصفاء روحه، ونعيش آلامه وآماله، ونشاركه أفراحه وأتراحه، ونقف على طبيعة مشاكله التى واجهها، وقضاياه التي عاشها، وعاش لأجلها، وكافح وناضل وجاهد في سبيلها.

وبقراءتنا لشعر أبى طالب عليه السلام، فإننا نقف على شاطئ زاخر بالعاطفة الصادقة، ونستشرف به بحراً، تحرك أمواجه الهادرة روح طهور، ووجدان واع، وضمير حى، هذا إلى شجاعة نادرة، وإباء حازم، وتصميم لا يلين، ولا يساوم، بل يتحدى ويقاوم.

ونقرأ فى شعره رحمه الله تعالى، معاناة القضية، ونبل الغاية، وهدى الرسالة.

ونقرأ فيه الإنسان وهو يعيش إنسانيته ويرعاها، والرسالى الذي يؤمن برسالته، ويحفظ لها قداستها.

لم يستأكل بشعره، ولا اعتدى به على أحد، ولا طلب به مالاً، ولا جاهاً، ولا ابتغى به شيئاً من حطام الدنيا. بل قدم نفسه، وشعره وجاهه، وماله، وولده، وكل غال ونفيس، والدنيا بأسرها قرابين فى خط الجهاد فى سبيل الله سبحانه، ومن أجل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن المستضعفين من عباده.

ونقرأ فى شعر أبى طالب عليه السلام تاريخاً حياً، يحدثنا عن كثير من اهتماماته قبل بعثة النبى صلى الله عليه وآله، ثم نقرأ فيه الكثير مما يتعلق بحقبة زمنية بالغة الحساسية، وهى حقبة ما بعد البعثة، فنجده

يرسم لنا الكثير من معالمها بكل أمانة ودقة، وبكل وعي، وصدق وصراحة.

فهو يحدثنا في كل ذلك عن الأفراح والأتراح، وعن المآثر والمفاخر، وعن الآلام والهموم والأحزان، وعن الخصائص والمزايا، وعن الهموم والمتاعب، وعن الأهداف والطموحات، وعن المواقف النبيلة، وعن الفكر والوعي، وعن العواطف والمشاعر.

إلى غير ذلك من شؤون وقضايا، حفلت بها تلك الحقبة الزمنية الحساسة جداً من عمر الإسلام والإيمان، مما لا غنى لمن يريد أن يدرس تاريخ الإسلام في أول انطلاقة دعوته عن الإلمام به، ومعرفته بعمق ووعي، وبصدق وأمانة.

نعم.. هذا هو شعر أبي طالب عليه السلام، أو فقل: هذا هو أبو طالب عليه السلام في شعره.

وختاماً نقول:

رحم الله أبا طالب عليه السلام، وحشره مع من كان يتولاه، محمد وآله، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

تم إعداد هذا الكتاب في أواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٤ هـ ق.

عيتا الجبل (عيتا الزط سابقاً) ـ جبل عامل ـ لبنان

جعفر مرتضى العاملي

الفهارس

١- المصادر و المراجع
٢- الفهرس التفصيلي

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ـ أ ـ

١ ـ أبو طالب حامي الرسول، لنجم الدين العسكري مطبعة الآداب النجف الأشرف.

٢ ـ أبو طالب مؤمن قريش، لعبد الله الخنيزي، ط سنة ١٣٩٨هـ

٣ ـ الإتقان، للسيوطي، ط سنة ١٩٧٣م، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

٤ ـ إثبات الوصية، للمسعودي، ط النجف الأشرف، العراق، ثم منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران.

٥ ـ الإحتجاج للطبرسي، ط سنة ١٤١٣ هـ ق. قم المقدسة إيران. وط سنة ١٣٩٠ هـ . ق. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

٦ ـ إختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، ط جامعة مشهد، سنة ١٣٤٨ هـ ش، إيران.

٧ ـ الأذكياء، لابن الجوزي، ط سنة ١٣٨٩هـ ، النجف الأشرف، العراق.

٨ ـ إرشاد الساري، للقسطلاني، ط سنة ١٣٠٤هـ ، نشر دار صادر، بيروت، لبنان.

٩ ـ أسد الغابة، لابن الأثير الجزري، ط سنة ١٣٨٠ هـ . وط مؤسسة إسماعيليان وطبعة أخرى.

١٠ ـ أسنى المطالب، للجزري، مطابع نقش جهان، إيران.

١١ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى، ط مصر سنة ١٣٢٨ هـ.

١٢ ـ الإعتقادات، للصدوق، المطبعة العلمية قم سنة ١٤١٢ هـ

١٣ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسى، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ط سنة ١٣٩٠ هـ

١٤ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى، ط ساسى، وط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥ ـ الأمالي للشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.

١٦ ـ الأمالي للشيخ الطوسي، ط مؤسسة البعثة، وط النجف الأشرف، العراق.

١٧ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، ط مصر سنة ١٣٨٨ هـ ق.

١٨ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، بتحقيق المحمودي، ط سنة ١٣٩٤هـ ، بيروت، لبنان.

١٩ ـ الأوائل، لأبي هلال العسكري، ط سنة ١٩٧٥م.، دمشق، سوريا.

٢٠ ـ أوائل المقالات، للشيخ المفيد، منشورات مكتبة الداوري، قم، إيران.

٢١ ـ إيمان أبي طالب، للمفيد تحقيق مؤسسة البعثة.

ـ ب ـ

٢٢ ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ط بيروت مؤسسة الوفاء، لبنان.

٢٣ ـ البدء والتاريخ للمقدسي ط سنة ١٩٨٨م.

٢٤ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، ط سنة ١٩٦٦م مكتبة المعارف، بيروت، لبنان وط دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٢٥ ـ البرهان في تفسير القرآن للبحراني ط آفتاب، طهران، إيران، والمطبعة العلمية سنة ١٣٩٣، إيران.

٢٦ ـ بشارة المصطفى، لمحمد بن قاسم الطبري، ط مؤسسة النشر الإسلامى، قم، إيران.

٢٧ ـ بنات النبى أم ربائبه، لجعفر مرتضى العاملى، ط المركز الإسلامى للدراسات سنة ١٤٢٣ هـ.

٢٨ ـ بهجة المحافل، للعامري، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الحجاز.

ـ ت ـ

٢٩ ـ تاريخ ابن خلدون، أو العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط مؤسسة الأعلمى سنة ١٣٩١هـ، بيروت، لبنان.

٣٠ ـ تاريخ أبى الفداء، أو المختصر فى أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١ ـ تاريخ الإسلام للذهبى، مطبعة المدينى القاهرة، وقسم المغازي، ط دار الكتاب العربي بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ

٣٢ ـ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، ط دار المعارف، مصر، وط الإستقامة، وطبعات أخرى.

٣٣ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٤ ـ تاريخ الخميس، للديار بكري، ط مصر سنة ١٣٨٣هـ. ق.

٣٥ ـ تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

٣٦ ـ تاريخ اليعقوبى، لابن واضح اليعقوبى، ط دار صادر، بيروت، لبنان، وط النجف الأشرف، العراق.

٣٧ ـ تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي، ط سنة ١٣٨٣هـ النجف الأشرف، العراق.

٣٨ ـ التراتيب الإدارية، للكتاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٩ ـ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، لابن عساكر، بتحقيق المحمودي، ط سنة ١٤٠٠ هـ، بيروت، لبنان.

٤٠ ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، ط سنة ١٣٨٨هـ دار إحياء التراث العربي.

٤١ ـ تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) نشر دار الكتاب العربى سنة ١٤٠٣ هـ.

٤٢ ـ تفسير أبي الفتوح الرازي.

٤٣ ـ تفسير لباب التأويل للخازن، ط مصر سنة ١٣١٧ هـ ق. ثم دار المعرفة بيروت.

٤٤ ـ تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، منشورات الأعلمي بيروت، لبنان.

٤٥ ـ تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم، ط سنة ١٣٨٧هـ بيروت، لبنان.

٤٦ ـ التعظيم والمنة، للسيوطي، ط سنة ١٣٨٠هـ وط حيدرآباد الدكن، الهند.

٤٧ ـ تلخيص المستدرك، للذهبي، مطبوع بهامش المستدرك نفسه سنة ١٣٤٢هـ الهند.

٤٨ ـ التنبيه والإشراف، للمسعودي، ط دار الصاوي بمصر سنة ١٣٥٧هـ

٤٩ ـ تيسير المطالب فى أمالى الإمام على بن أبى طالب، لأبى طالب الزيدي، ط سنة ١٣٩٥هـ بيروت، لبنان.

ـ ث ـ

٥٠ ـ الثقات، لابن حبان، ط سنة ١٣٩٧هـ الهند.

٥١ ـ ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، مطبوع بهامش المستطرف، وط مستقلة أخرى.

- ج -

٥٢ ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

٥٣ ـ جمهرة خطب العرب، لأحمد زكى صفوت، ط دار الحداثة، سنة ١٩٨٥م. بيروت، لبنان.

٥٤ ـ جواهر المطالب، لابن الدمشقي، تحقيق المحمودي، قم، إيران.

- ح -

٥٥ ـ الحجة لابن معد، ط النجف الأشرف، العراق.

٥٦ ـ حلية الأبرار، للبحرانى ط مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة سنة ١٤١١ هـ.

٥٧ ـ حلية الأولياء، لأبى نعيم، ط دار الكتاب العربى، ط سنة ١٣٨٧هـ بيروت، لبنان.

٥٨ ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، ط القاهرة، مصر سنة ١٣٩٢ هـ.

- د -

٥٩ ـ الدرجات الرفيعة، لابن معصوم، ط بصيرتى، قم، إيران، سنة ١٣٩٧هـ.

٦٠ ـ الدرج المنيفة، للسيوطى، ط حيدرآباد الدكن، الهند، سنة ١٣٨٠هـ.

٦١ ـ الدر المنثور، للسيوطي، ط سنة ١٣٧٧هـ

٦٢ ـ دلائل النبوة، لإسماعيل الأصبهانى، ط دار المعرفة، سنة ١٣٩٧هـ بيروت، لبنان.

٦٣ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، ط دار الكتب العلمية، سنة ١٣٩٧هـ

ـ ذ ـ

٦٤ ـ ذخائر العقبى للطبري، ط دار المعرفة، سنة ١٩٧٤م.، بيروت، لبنان.

ـ ر ـ

٦٥ ـ الروض الأنف، للسهيلي، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة، مصر.

٦٦ ـ روضة الواعظين، للفتال النيسابوري، ط المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، سنة ١٣٨٦هـ.

ـ س ـ

٦٧ ـ سبل الهدى والرشاد، للصالحي الشامي، ط مصر.

٦٨ ـ سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، ط مؤسسة انتشارات فراهاني، إيران.

٦٩ ـ سليم بن قيس، بتحقيق الأنصاري، ط مؤسسة البعثة، سنة ١٤٠٧هـ قم، إيران، وط المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

٧٠ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، ط الهند، سنة ١٣٤٤ هـ.

٧١ ـ السيرة الحلبية، للحلبي الشافعي، ط سنة ١٣٢٠ هـ.

٧٢ ـ سيرة مغلطاي، للحافظ مغلطاي، ط مصر سنة ١٣٢٦هـ.

٧٣ ـ السيرة النبوية، لابن كثير، ط دار المعرفة، سنة ١٣٩٦هـ بيروت، لبنان.

٧٤ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، أوفست عن ط مصر سنة ١٣٥٥هـ.

٧٥ ـ السيرة النبوية، لدحلان، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، والمطبوع بهامش السيرة الحلبية، بطبعاتها المختلفة.

ـ ش ـ

٧٦ ـ شجرة طوبى، للحائري، ط المطبعة الحيدرية النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ .

٧٧ ـ شرح الأخبار، للقاضي النعماني، ط دار الثقلين، سنة ١٤١٤هـ بيروت، لبنان.

٧٨ ـ شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م. بيروت، لبنان.

٧٩ ـ شرح نهج البلاغة، للمعتزلي الحنفي، ط مصر سنة ١٣٨٥ هـ .

٨٠ ـ شيخ الأبطح، السيد محمد على شرف الدين، ط سنة ١٣٤٩هـ مطبة دار السلام، بغداد.

ـ ص ـ

٨١ ـ صحيح البخاري، ط مصر سنة ١٣٠٩ هـ .

٨٢ ـ صحيح مسلم، ط محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

٨٣ ـ الصحيح من سيرة النبى الأعظم، لجعفر مرتضى العاملى، ط دار السيرة، بيروت، لبنان. وط جامعة مدرسين، قم، إيران.

٨٤ ـ صفين، للمنقري، ط سنة ١٣٨٢هـ

٨٥ ـ الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، وط دار البلاغة، مصر. وطبعة أخرى، سنة ١٣١٢هـ .

ـ ض ـ

٨٦ ـ ضياء العالمين، للفتوني، (مخطوط)

ـ ط ـ

٨٧ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط ليدن، وط دار صادر، بيروت، لبنان.

٨٨ ـ الطرائف، لابن طاووس، ط مطبعة الخيام، سنة ١٤٠٠هـ قم، إيران. وطبعة حجرية.

- ع -

٨٩ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون، (راجع: تاريخ ابن خلدون).

٩٠ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، ط سنة ١٣٨٤هـ دار الكتاب العربي، وط الاستقامة، وغيرها.

٩١ ـ علي والخوارج، لجعفر مرتضى العاملي، نشر المركز الإسلامي للدراسات، سنة ١٤٢٣هـ بيروت، لبنان.

٩٢ ـ عمدة الطالب، لابن عنبة، ط سنة ١٣٨٠هـ الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

٩٣ ـ العوالم، للبحراني، ط سنة ١٤٠٥هـ مدرسة الإمام المهدي، قم، إيران.

٩٤ ـ عيون الأثر، لابن سيد الناس، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩٥ ـ عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة، ط دار مكتبة الحياة، سنة ١٩٦٥م. بيروت، لبنان.

٩٦ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة الدنيوري، ط المؤسسة المصرية العامة، سنة ١٣٨٣هـ.

- غ -

٩٧ ـ الغارات، للثقفي، مطبعة الحيدري، إيران.

٩٨ ـ الغدير، للعلامة الأميني، ط سنة ١٣٩٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩٩ ـ غوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الإحسائي، ط سنة ١٤٠٤هـ إيران.

ـ ف ـ

١٠٠ ـ فتح القدير، (تفسير) للشوكاني، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠١ ـ الفتوح لابن أعثم، ط الهند سنة ١٣٩٥هـ. وط دار الأضواء، سنة ١٤١١ هـ ق. بيروت، لبنان .

ـ ق ـ

١٠٢ ـ قاموس الرجال، للتستري، مركز نشر كتاب، طهران، إيران. وط مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤١٥ هـ ق. قم ـ إيران.

١٠٣ ـ القول الصائب في إثبات الربائب، لجعفر مرتضى العاملي، نشر المركز الإسلامي للدراسات ١٤٢٤هـ بيروت، لبنان.

ـ ك ـ

١٠٤ ـ الكافي (الأصول) للكليني، دار الكتب الإسلامية، ط سنة ١٣٨٨ هـ ، و(الفروع) ط مطبعة الحيدري، سنة ١٣٧٧ هـ ، طهران، إيران.

١٠٥ ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ط دار صادر، سنة ١٣٨٥هـ بيروت، لبنان.

١٠٦ ـ الكشاف، للزمخشري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠٧ ـ كشف الغمة، للشعراني، ط دار الكتب العربية الكبرى، سنة ١٣٢٢هـ مصر.

١٠٨ ـ كشف الغمة، للإربلي، ط دار الأضواء، بيروت، لبنان. والمطبعة العلمية سنة ١٣٨١هـ قم، إيران.

١٠٩ ـ كنز العمال، للمتقي الهندي، ط سنة ١٣٨١ هـ ، الهند. وط مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٩ هـ .

١١٠ ـ الكفاية في علم الرواية، للخطيب، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، الحجاز.

١١١ ـ كنز الفوائد للكراجكي، ط حجرية، وطبعة أخرى.

١١٢ ـ الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي، ط سنة ١٣٨٩هـ الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

ـ ل ـ

١١٣ ـ لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ط الأعلمي، بيروت، لبنان.

ـ م ـ

١١٤ ـ ماءة منقبة، لمحمد بن أحمد القمي (ابن شاذان)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

١١٥ ـ ماذا في التاريخ، للشيخ محمد حسن القبيسي، ط بيروت، لبنان.

١١٦ ـ مجمع البيان، للطبرسي، ط سنة ١٣٧٩هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. وط صيدا، لبنان.

١١٧ ـ مجمع الزوائد، لابن حجر الهيثمي، ط سنة ١٩٦٧م.

١١٨ ـ المحاسن والمساوي، للبيهقي، ط دار صادر، بيروت، لبنان.

١١٩ ـ مدينة المعاجز، للبحراني، ط حجرية، وط مؤسسة المعارف الإسلامية، سنة ١٤١٣ هـ قم، إيران.

١٢٠ ـ مسالك الحنفا، للسيوطي، ط سنة ١٣٨٠هـ حيدرآباد الدكن، الهند.

١٢١ ـ مستدرك سفينة البحار، للنمازي الشاهرودي ط مؤسسة البعثة، سنة ١٤١٠هـ إيران.

١٢٢ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ط سنة ١٣٤٢ هـ، الهند.

١٢٣ ـ مستدرك الوسائل، للمحدث النوري، ط سنة ١٣٤٢ هـ إيران.

١٢٤ ـ مسند أحمد، ط سنة ١٣١٣ هـ، مصر.

١٢٥ ـ المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ط سنة ١٣٩٠ هـ ـ بغداد ـ العراق.

١٢٦ ـ معجم رجال الحديث، لآية الله الخوئي، ط دار الزهراء، سنة ١٤٠٣ هـ بيروت، لبنان.

١٢٧ ـ المعجم الصغير للطبراني، ط سنة ١٩٨٨م.، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الحجاز.

١٢٨ ـ مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، ط مؤسسة إسماعيليان، سنة ١٩٧٠م. طهران، إيران.

١٢٩ ـ مكاتيب الرسول، للأحمدي، ط المطبعة العلمية، مصطفوي، سنة ١٣٧٩هـ إيران.

١٣٠ ـ المناقب للخوارزمي، ط المطبعة الحيدرية سنة ١٣٨٥ هـ ، النجف الأشرف، العراق.

١٣١ ـ مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب، المطبعة العلمية، قم، إيران. والمطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٣٢ ـ مناقب أهل البيت، للشيرواني، ط مطبعة المنشورات الإسلامية سنة ١٤١٤ هـ

١٣٣ ـ منية الراغب، للطبسي، ط مطبعة مهراستوار، سنة ١٣٩٤هـ قم، إيران.

١٣٤ ـ المهذب البارع، لابن فهد الحلي، نشر جامعة مدرسين، قم، إيران.

١٣٥ ـ المواهب اللدنية، للقسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣٦ ـ مواهب الواهب في إيمان أبي طالب، للنقدي، ط حجرية سنة ١٣٤١هـ النجف الأشرف، العراق.

١٣٧ ـ الميزان، تفسير العلامة الطباطبائي، ط مؤسسة الأعلمي، سنة ١٣٩٤هـ بيروت، لبنان.

- ن -

١٣٨ ـ نبوة أبي طالب، للميثمي الغديري، ط قم، إيران.

١٣٩ ـ النزاع والتخاصم، للمقريزي، ط المطبعة العلمية، سنة ١٣٦٨هـ النجف.

١٤٠ ـ نزهة المجالس، للصفوري الشافعي، ط مكتبة مصطفى محمد، سنة ١٣١٤هـ القاهرة، مصر.

١٤١ ـ نسب قريش، لمصعب الزبيري، ط دار المعارف، مصر.

١٤٢ ـ النصائح الكافية، لمحمد بن عقيل، ط دار الثقافة، قم، إيران.

١٤٣ ـ نصب الراية للزيلعي، ط المكتبة الإسلامية، سنة ١٣٩٣ هـ.

١٤٤ ـ نهاية الإرب، للنويري، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م.

١٤٥ ـ نهج الإيمان، لابن جبر، مؤسسة المعارف الإسلامية، تحقيق السيد أحمد الحسيني، قم، إيران.

١٤٦ ـ نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، بشرح عبده، ط الاستقامة وط دار المعرفة.

١٤٧ ـ نهج السعادة، للمحمودي، مطبعة النعمان، سنة ١٣٨٧هـ النجف الأشرف، العراق.

١٤٨ ـ نور الثقلين، للحويزي، مطبعة الحكمة، قم، إيران.

- و -

١٤٩ ـ الوسائل للحر العاملي، المكتبة الإسلامية، ط سنة ١٣٨٥هـ، إيران.

- ي -

١٥٠ ـ ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، ط سنة ١٣٠١ هـ. ق إسلامبول، تركيا. وط دار الأسوة.

٢ـ الفهرس التفصيلي :

الفصل الثاني

لمحات عن ابي طالب عليه السلام

الفصل الثالث

من تاريخ ابي طالب عليه السلام

الفصل الرابع

ايمان ابي طالب عليه السلام

الفصل الخامس

ابوطالب عليه السلام المظلوم المفترى عليه

الفصل السادس

مؤمن آل فرعون

الفصل السابع

مع شيخ الابطح في شعره

الفهارس